مكتبة ابن رجب (٧)

شرحُ حديث لبّيك اللهم لبّيك

تأليف

الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي

(٧٣٦-٧٩٥هـ)

بتحقيق

د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمّد آل فريّان

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار عالم الفوائد

بسم الله الرحمن الرحيم

شرحُ حديث لبّيك اللهم لبّيك

ⓗ دار عالم الفوائد للنشر ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن رجب ، عبدالرحمن بن أحمد .
شرح حديث لبيك اللهم لبيك / تحقيق : الوليد بن عبدالرحمن الفريان . ـ مكـة .
١٤٤ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك : ٩-٥-٩١١٦-٩٩٦٠
١- الأدعية والأوراد ٢- الحديث - مباحث عامة ٣- الحديث - شرح
أ- الفريان ، الوليد بن عبدالرحمن «محقق» ب - العنوان
ديوي ٢١٢,٩٣ ١٧/١٠٣٨

رقم الإيداع: ١٧/١٠٣٨
ردمك: ٩-٥-٩١١٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ

الناشر

دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

ص . ب . ٢٩٢٨ مكة المكرمة

هاتف : ٥٤٥٧٦٠٦ ، فاكس : ٥٤٥٧٦١٠

تقديم

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّه لا يمكن للقلب أنْ يصلُح ولا يُفلح، ولا يلتذ ولا يُسر، ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن أبداً إلاَّ بعبادة الله تعالى. ولن يظفر بكمال ولا حُرية ولا سعادة إلاَّ في ظلها الظليل.

ومَن ذاق طعم العبادة لم يكن عنده شيءٌ قط أحلى منها، وهانت عليه الدنيا بأسرها. وكلما ترقَّى في مدارجها، وتسنَّم عبيرها الواعد ازداد رفعة وشرفاً وسمواً وتألقاً؛

قال الله تعالى:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١١].

وسيظل الشيطانُ يضرب في بحر الهوى ما شاء له غيُّه، ويتربص بالعابدين المحن والفتن، ويضع في طريقهم العقبات، ويصنع المكائد ويُجلب بالشهوات: حتى يرد من استطاع منهم عن دينه، أو يَلبسهم شيعاً ويُذيق بعضهم بأس بعض، أو ينجو من عصم الله بعد جهد جهيد. ولن يُعدم من تسلط جنوده بأنواع الأذى والتنغيص ﴿لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضا • ولأُضلّنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكُن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خُسراناً مبيناً • يعدُهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ [سورة النساء، الآيات: ١١٨ ـ ١٢٠].

غير أنَّ أهل الله في كنفه آمنون، وبولايته ومعيته وإعزازه وتثبيته مُستبشرون ﴿اللهُ وليُّ الذين آمنوا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٧]، ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾ [سورة الأنفال، الآية: ١٩]، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [سورة المنافقون، الآية: ٨]، ﴿إذ يُوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبِّتوا الذين آمنوا﴾ [سورة الأنفال، الآية: ١٢].

ولا يزال الله يدفع عنهم الشرور ﴿إن الله يُدافع عن الذين آمنوا﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٨]، ويُحيطهم بأمانه وصلاح بالهم وإمدادهم بالنعم والأرزاق ﴿فمن آمن وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٨]، ﴿ولو أن أهل القُرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٦]، ويمنحهم أسباب القيادة ومقاليد السيادة ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمَّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [سورة السجدة، الآية: ٢٤].

كما أنَّ لهم من الله أطيب الحياة وألذ عيش ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينَّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٧]، ولهم أحسن المتاع ﴿وأن استغفروا ربّكم ثم تُوبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمًّى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ [سورة هود، الآية: ٣].

ولتذهب وساوس الشيطان وخدعه حسرات عليه ﴿إنَّ الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مُبصرون﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠١].

فما أضعف كيده وأوهى حبائله، وأتعسه في الدنيا والآخرة، و«الحمدُ لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة»[١].

● موضوع الكتاب:

اشتمل الكتاب على جُملة كبيرة من المعاني الجامعة، التي جاءت في سياق شرح هذا الحديث النبوي الكريم. وقد تضمَّن فيضاً من الدعوات، ابتدأها: بإعلان الخضوع التام لله تعالى، وتفويض الأمر إليه، والإيمان بموعوده، والبراءة من كل حول، ورجاء الثبات على الإسلام والرضا بالقضاء. ثم أردف ذلك: بسؤال الله المزيد من فضله،، والسلامة من المظالم والشوق إلى لقاء الله، والنظر إلى وجهه الكريم. ثم الشهادة لله بالتوحيد، والإقرار بنبوة محمد ﷺ، والتسليم بوعد الله في الآخرة. وختمها: بإظهار العجز والتنصل من كل قوة، والاعتراف بالتقصير، وطلب العفو والمغفرة.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: رقم (٥١١٢)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٢٣٥، ٣٤٠)، والنسائي في «عمل اليوم»: رقم (٦٦٨)، والطيالسي في «المسند»: رقم (٢٧٠٤)، وابن حبان في «الصحيح»: رقم (١٤٧، ٦١٨٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة»: رقم (٧٧٩ ـ ٧٨١) بإسناد صحيح، من حديث ابن عباس.

وقد أفاض في شرح هذه الجُمل العظيمة، وتكلَّم عليها بما تستحقه من بيان وتفصيل من خلال ما نقله من الأدلة وجمعه من آثار وأشعار نافعة، أسهمت في توضيح مقاصده واستشراف معانيه.

- **أهمية الكتاب :**

سيظل هذا الكتاب شاهداً صادقاً على ما أُوتي المؤلف من براعة وإلمام واسع بالسنة وآثار السلف، ومترجماً لإمكاناته الرائعة وقدرته الفائقة في استحضار النصوص واستجلاء معانيها وتوظيفها أحسن توظيف. كما حفظ لنا طائفة نادرة من رقائق الأشعار والحكم، مما أضفى على الكتاب ضروباً من الإبداع وألواناً من الجمال والتأنق، وأبان عن ملكة نادرة على ترقيق النفوس بالمواعظ والعبر؛ وذلك إيماناً منه بأنه لابد من تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم، لأن العلم وحده لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلاَّ أن يُمزج بمثل ذلك ليخرج عن صور الأفعال إلى ذوق معانيها[١].

---

(١) ينظر: ابن الجوزي «صيد الخاطر»: (١/ ٢٠٦)، (٢/ ٣٠٢).

● **المؤلف :**

هو الحافظ المُفسر الفقيه الأُصولي الإمام زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين البغدادي الحنبلي.

وُلد عام ٧٣٦هـ، وأخذ العلم عن صفوة علماء عصره، منهم: ابن القيم، وابن قاضي الجبل، وأبو سعيد العلائي.

ثم انقطع للتعليم والتأليف والوعظ، وأخذ عنه جمٌّ كثير من الطلاب وألف كتباً نافعة لازالت مورداً عذباً للعلماء والباحثين والوعاظ. وقد يسر الله تعالى لي الاشتغال على إخراج عدد منها، ضمن سلسلة مكتبة ابن رجب.

تُوفي ـ رحمه الله ـ بعد حياة ملؤها الخير والصلاح والعلم والتعليم والمصابرة، عام ٧٩٥هـ. رحمه الله تعالى، وجمعنا به في دار كرامته بمنه[١].

---

(١) ينظر في مصادر ترجمته: ابن ناصر الدين «الردّ الوافر»: (١٠٦)، وابن مفلح «المقصد الأرشد»: (٢/ ٨١)، وابن عبد الهادي «الجوهر المنضَّد»: (٤٦)، وابن حُميد المكي «السُّحب الوابلة»: (٢/ ٤٧٤).

● النسخ المعتمدة :

أخرجت هذا الكتاب عن ثلاث نسخ خطية، هي :

الأولى: وتقع في ست وعشرين ورقة، ومسطرتها ١٩ سطراً ضمن مجموع محفوظ بمكتبة فاتح، بقلم عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي ـ رحمه الله ـ عام ٨٩٣هـ، وخطها نسخي جيد، وهي نسخة مصححة ومقابلة؛ ولذلك جعلتها أصلاً.

الثانية: بقلم نسخي واضح، في أربع عشرة ورقة ومسطرتها ٢٤ ـ ٢٥ سطراً، وتقع ضمن مجموع كُتبت في القرن الثالث عشر تقديراً، وبها زيادات على ما في الأصل، ورمزتُ لها بحرف «س».

الثالثة: نسخةٌ مختصرة كما أشار الناسخ، وتقع في سبع ورقات ومسطرتها ٢٥ سطراً، كتبت في القرن الثالث عشر تقديراً ضمن مجموع لبعض رسائله. وقد استأنست بها، ولم أذكر ما بينها وبين النسختين الأخريين من الفروق إلا نادراً، ورمزتُ لها بحرف «ب».

- **العنوان والتوثيق :**

لم يذكر في الأصل ولا في نسخة «ب» اسم الكتاب، وجاء في نسخة «س» ما نصه: الكلام على حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه تأليف الشيخ الإمام الزاهد عبد الرحمن بن رجب رحمه الله وعفى عنه وغفر لنا وله ولوالدينا وجميع إخواننا المسلمين. أما كتب التراجم، فقد نص عليه ابن عبدالهادي وسماه: شرح الحديث لبيك اللهم لبيك[١]. كما سمَّاه الروداني[٢]: شرح حديث لبيك اللهم لبيك. وقد جعلتُ ذلك عنواناً لوضوحه واختصاره.

- **منهج التحقيق :**

سرتُ في تحقيق هذا الكتاب على نهج النص المختار، وحرصت على إبقاء الأصل بقدر الإمكان، مع ذكر الفروق بين النسخ إلا ألفاظ التكريم والآيات التي لم تُذكر كاملة، فأذكرها كاملة بحسب الحاجة ولا أشير إلى ذلك.

---

(١) ابن عبد الهادي «الجوهر المنضد»: (٥٠).

(٢) الروداني «صلة الخلف»: (٢٧٦).

كما قمتُ بعزو الآيات وتخريج الأحاديث والآثار والأشعار حسب الاستطاعة.

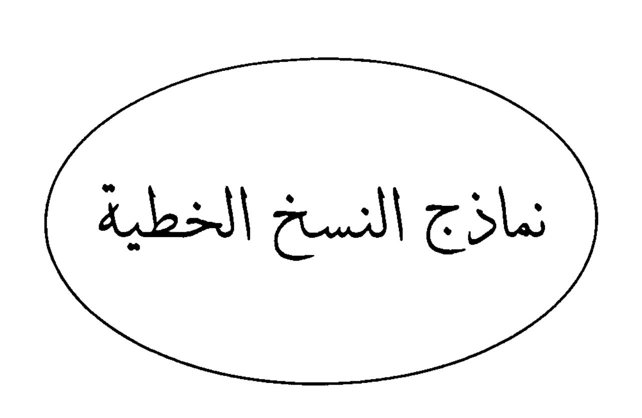
أسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأنْ يحفظنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأنْ يجعلنا هداة مهتدين. والحمدُ لله رب العالمين على توفيقه وإحسانه.

وكتبه

الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

جامعة الإمام محمد بن سُعود الإسلامية

٢٠/ ١/ ١٤١٧هـ


نماذج النسخ الخطية

فهذا من خشوع النفاق قال بعضهم استعيذوا بالله من خشوع
النفاق ان ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع كان
السلف الصالح يجتهدون في اعمال الخير ويعدون انفسهم
المقصرين المفرطين ... ونحن مع اسائتنا نعد انفسنا
من المحسنين كان مالك بن دينار يقول اذا ذكر الصالحون
فأف لي وتف وقال ايوب اذا ذكر الصالحون
كنت عنهم بمعزل وقال يونس بن عبيد اعد مائة
خصلة من خصال الخير ليس في منها خصلة واحدة وقال
محمد بن واسع لو ان للذنوب رائحة لم يستطع احد ان يجالسني

يا من اذا شبه بالصالحين فهو عنهم متباعد
واذا شبه بالمذنبين فحاله وحالهم واحد
يا من يسمع ما تلين له الجلامد وطرفه جامد وقلبه اقسى من الجلامد
يا من قد برد قلبه عن التقوى كيف ينفع الموعظة في حديد
بارد يا نفس الى كم تسوفينا حتى متى لا ترعوينا
حتى متى لا تعقلين وتبصرين وتسمعينا
يا نفس ان لم تصلحي فتشبهي بالصالحينا

بسم الله الرحمن الرحيم ... الثالثة
الاملاء ... زيد بن ثابت ان النبي

صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وامره ان يتعاهد به اهله كل يوم
قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في
يديك ومنك وبك واليك اللهم ما قلت من قول او
نذرت من نذر او حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما
شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بك انك على
كل شيء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى
من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت انت وليي في
الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين اللهم
اني اسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة
النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة
ولا فتنة مضلة اعوذ بك اللهم ان اظلم او اظلم او اعتدي
او يعتدى علي او اكتسب خطيئة محبطة او ذنبا لا تغفره
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
ذا الجلال والاكرام فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا
واشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وانت على كل شيء
قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك واشهد ان وعدك
حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية
لا ريب فيها وانك تبعث من في القبور واشهد انك ان تكلني

الورقة الأولى من الأصل

ثم نام وصاح وقال قد وجدت قلبي قد وجدت قلبي هكذا
ينبغي أن يكون حال العبد مع ربه. تم هذا الحديث وشرحه
والحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خرج الإمام أحمد
والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك
الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما ذئبان جائعان
أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه.
قال الترمذي حسن صحيح. وروي من وجه آخر عن النبي
صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة
وأسامة بن زيد وجابر وأبي سعيد الخدري وعاصم بن عدي
الأنصاري رضي الله عنهم. قال الشيخ زين الدين أبو
الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب: وقد ذكرتها كلها
مع الكلام عليها في شرح الترمذي. ولفظ حديث جابر
ما ذئبان ضاريان باتا في غنم غاب رعاؤها بأفسد من الناس
الشرف والمال لدين المؤمن. وفي حديث ابن عباس حب المال
والشرف بدل الحرص. فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه
وسلم لفساد دين المؤمن بالحرص على المال والشرف. وأن فساد الدين
بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في
الغنم وقد غاب عنها رعاؤها ليلا فهما يأكلان في الغنم ويفترسان

[illegible] الغنم ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من
الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا القليل.
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حرص المرء على المال والشرف
إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد هذين الذئبين لهذه الغنم
بل إما أن يكون مساويا وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من دين
المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل
كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.
فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف
في الدنيا. فأما الحرص على المال فهو نوعان: أحدهما شدة محبة
المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه
والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة.
وقد ورد أن سبب الحديث كان بعض هذا النوع [illegible] كما
أخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عدي قال اشتريت
مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما ذئبان ضاريان ضلا في غنم أضاعها ربها بأفسد من طلب
المسلم المال والشرف لدينه. قلت: ولو لم يكن في الحرص
على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له وقد كان يمكن
صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى ولو [illegible]
والنعيم المقيم فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم

الورقة الأخيرة من الأصل

الوليد بن عبد الرحمن آل فريان

سوونا صرت تبكي ما مضى لو كنت لازمت الوقوف ببابنا للبست من إحسا
ننا خلع الرضا لكن تركت حقوقنا فهجرتنا فلذا أضاق عليك متسع الفضا

آخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين

الكلام على حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه تأليف الشيخ الإمام الزاهد عبد الرحمن
بن رجب رحمه الله تعالى وعفى عنه وغفر لنا وله ولوالدينا وجميع إخواننا المسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا به

خرج الإمام أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك
والخير في يديك ومنك وبك وإليك اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت
من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة
إلا بك إنك على كل شيء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما
لعنت من لعن فعلى من لعنت أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني
بالصالحين اللهم إني أسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر
إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك اللهم
أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبا لا
تغفره اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد
إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا أني أشهد أن لا إله إلا أنت لك
الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن
وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث
من في القبور وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة
وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي
إنك أنت التواب الرحيم قوله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك معناه إجابة
لك ما بك مرة بعد مرة وليس المراد به حقيقة التثنية بل التكثير كقوله
ثم ارجع البصر كرتين يعني مرة بعد مرة [illegible]

وأقام فيه

الورقة الأولى من نسخة «س»

باني يتخفى لعاصوه ما للعصاة مهرب منه الا اليه هربت منه اليه بكيت منه عليه
وحقه هو سؤلي لا زلت بين يديه حتى انال واحظى بما رجوت لديه اسات ولم احسن
وجئتك تائبا واني لعبد عن مواليه يهرب يؤمل غفرانا فان خاب ظنه فما احد
منه على الارض اخيب هو ارحم بعباده من الوالدة بولدها وافرح بتوبة عبده ممن
فقد راحلته بارض مهلكة حتى يئس من الحياة ثم وجدها يا مطرودا عن ان تطارق
عتبة بابهم يا مرميا بالبعد اياك ان تبعد عن جنابهم يا مهجورا ابك وترام عليهم
يا متوعدا بالعقاب لا تهرب منهم الا اليهم في حديث جابر المرفوع ان العبد ليدعو
الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه فلا يزال يدعوه حتى يقول الله عز وجل للملائكة
ان عبدي ابى الا ان يدعوني فقد استجبت له كان رجل من اصحاب ذي النون يطوف
في السكك يبكي وينادي اين قلبي من وجد قلبي فدخل يوما بعض السكك فوجد
صبيا يبكي وامه تضربه ثم اخرجته من الدار واغلقت الباب دونه فجعل الصبي يلتفت
يمينا وشمالا ولا يدري اين يذهب ولا اين يقصد فرجع الى باب الدار فوضع راسه
على عتبته فنام فلما استيقظ جعل يبكي ويقول يا اماه من يفتح لي الباب اذا اغلقت عني
بابك ومن يدنيني من نفسه اذا طردتني ومن ذا الذي يدنيني بعد ان غضبتي علي
فرحمته امه فقامت ونظرت من خلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خديه
متمعكا في التراب ففتحت الباب واخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله
وتقول يا قرة عيني وعزيز نفسي انت الذي حملتني على نفسك وانت الذي تعرضت
لما حل بك لو كنت اطعتني لم تلق مني مكروها فتواجد الرجل ثم قام وصاح وقال
قد وجدت قلبي قد وجدت قلبي هكذا ينبغي ان تكون حال العبد مع ربه اذا هجره واعرض
وصلنا تذللا وان بعدوا يا سا قربنا تعللا وان يغلقوا بالهجر ابواب وصلهم
وقالوا ابعدوا عنا طلبنا التوصلا وقفنا على ابوابهم نطلب الرضى
على الترب عفرنا الخدود تذللا اشرنا بتسليم وان بعد الملتقى
اليهم وكلفنا الرياح التحملا آخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا
مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الورقة الأخيرة من نسخة «س»

١١٩

هذا الحديث والحديث الذي بعده متروك منهما على سبيل الاختصار

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله

خرج الامام احمد والحاكم من حديث زيد ابن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم
علمه دعاء وامره ان يتعاهد به اهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك
وسعديك والخير في يديك ومنك وبك واليك اللهم ما قلت من قول او نذرت من
نذر او حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشا لم يكن ولا حول ولا
قوة الا بك انك على كل شيء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من
لعن فعلى من لعنت انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك من غير ضرا مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك اللهم ان اظلم او اظلم او اعتدي
او يعتدى علي او اكتسب خطيئة محيطة او ذنب لا تغفره اللهم فاطر السموات والا
رض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا
واشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك لك
الملك ولك الحمد وانت على كل شيء قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك واشهد ان
وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وانك
تبعث من في القبور واشهد انك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب
وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
وتب علي انك انت التواب الرحيم **قوله** صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك
معناه اجابة لدعائك مرة بعد مرة ليس المراد به حقيقة التثنية بل التكرير والتكثير
كقوله ثم ارجع البصر كرتين يعني مرة بعد مرة واصله من لب بالمكان اذا لزمه واقام
فيه فكان النبي يجيب دعوة الله ويلزم ذلك ويقتضي ايضا سرعة الاجابة مع الدوام
عليها **وقوله** وسعديك يعني اسعادا بعد اسعاد والمعنى طاعة بعد طاعة
واصله ان المنادي اذا دعا غيره فان المجيب لدعائه يجيبه اسعادا له ومساعدة
ثم نقل ذلك لمطلق الطاعة حتى استعمل في اجابة دعاء الله وحكي عن العرب سبحانه وسعدا
على معنى اسبحه واطيعه والاشك ان الله سبحانه يدعو عباده الى ما فيه رضاه عنهم وما
يوجب لهم سعادة الاخرة فمن اجاب دعاه واستجاب له فقد افلح قال الله تعالى والله

الورقة الأولى من نسخة «ب»

التزين بذلك ظاهرا وقلبه فارغ عاد ذلك عليه شينا كما قال بعضهم من تزين للناس بما يعلم الله منه خلافه شانه الله عز وجل وقال بعضهم لمن اظهر التزين بالعلم من غير تجمل به تزينوا بما شئتم فلن يزيدكم الله الا اتضاعا وقال بعضهم لا تقوم الساعة حتى يتزين الرجل بالعلم كما يتزين الرجل بثوبه يعني يظهره للناس تزينا به عندهم من غير ان يتزين قلبه وجوارحه بالعمل به ومن زين جوارحه بالاعمال وقلبه بحقيقة الايمان زينه الله في الدنيا والاخرة كما في الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم فمن علم الله من قلبه الصدق زينه الله عند عباده وبالعكس وما احسن قول ابي العتاهية :: اذا المرء لم يلبس لباسا من التقى :: تقلب عريانا وان كان كاسيا

وقوله واجعلنا هداة مهتدين يعني نهدي غيرنا ونهتدي في انفسنا و هذه افضل الدرجات ان يكون العبد هاديا مهتديا قال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقال صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال من دعى الى ~~[illegible]~~ هدى كان له مثل اجر من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيا ويدخل في من دعى الى هدى من دعى الى التوحيد من الشرك والى السنة من البدعة والى العلم من الجهل والى الطاعة من المعصية و الى [illegible] الغفلة فمن استجيب له الى شي من هذه الدعوات فله مثل اجر من اتبعه والله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله خرج الامام احمد من حديث شداد بن اوس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا انتم هؤلاء الكلمات اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما واسالك لسانا صادقا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب وخرجه الترمذي مختصرا وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وله طرق متعددة عن شداد وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم ان يدعوا بهذه الكلمات في الصلاة او في دبر الصلاة فقوله

صلى الله

الورقة الأخيرة من نسخة «ب»

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ وبه نستعين، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ به١).

خرَّج الإمامُ أحمد، والحاكم، من حديث زيد بن ثابت: أنَّ النبيَّ / ﷺ علَّمه دعاءً وأمره أنْ يتعاهد به أهلَه كل يوم، [١٧/أ] قال: «قُل حين تُصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك ومنك وبك وإليك. اللهم ما قلتُ من قول أو نذرتُ من نذرٍ أو حلفتُ من حلفٍ فمشيئتُك بين يديه، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيءٍ قدير. اللهم وما صليتُ من صلاةٍ فعلى من صليتَ، وما لعنتُ من لعن فعلى من لعنتَ، أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفَّني مسلماً وألحقني بالصالحين.

اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبَرد العيش بعد الموت، ولذَّة النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلَّة. أعوذُ بك اللهم أنْ أظلم أو أُظلم، أو أعتدي أو يُعتدى عليَّ، أو أكتسب خطيئة مُحبطة أو ذنباً لا

(١) ما بينهما إضافة من «س».

تغفره. اللهم فاطرَ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، فإنِّي أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأُشهدك وكفى بك شهيداً: أني أشهد أنْ لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك المُلك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير. وأشهد أنَّ محمداً عبدُك ورسولك، وأشهدُ أَنَّ وعدكَ حق ولقاءك حق، والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأنك تبعث مَن في القبور . وأشهد أنك إنْ تكلني / [١٧/ب] إلى نفسي، تكلني إلى ضيعةٍ وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلاَّ برحمتك: فاغفر لي ذنبي كلّه إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتُب عليَّ إنك أنت التوابُ الرحيم»(١).

---

(١) أحمد في «المسند»: (٥/ ١٩١)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥١٦)، وصححه، وقال الذهبيُّ: أبو بكر ضعيف، فأين الصحة؟ وأخرجه الطبراني في «الكبير»: (٥/ ١١٩، ١٥٧)، و«الدعاء»: رقم (٣٢٠، ٣٢١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»: رقم (٤٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: رقم (٨٤٦)، والبيهقي في «الدعوات الكبير»: رقم (٤٢، ٤٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ١١٣)، رواه أحمد، والطبراني وأحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا، وفي بقية الأسانيد: أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. والحديث حسنٌ بشواهده.

قولُه ﷺ: «لبيك اللهم لبيك» معناه: إجابة لدعائك مرة بعد مرة. وليس المراد به: حقيقة [1] التثنية، بل المراد التكرير [1] والتكثير والتوكيد[2]؛ كقوله ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ [سورة الملك، الآية: ٤] يعني: مرة بعد مرة.

وأصلُه: من لب[3] بالمكان: إذا لزمه وأقام فيه؛ فكأنَّ المُلبي يُجيب دعوة الله ويلزم ذلك. ويقتضي أيضاً: سُرعة الإجابة مع الدوام عليها.

و[4] قوله: «وسعديك» يعني: إسعاداً بعد إسعاد. والمعنى: طاعة بعد طاعة. وأصلُه: أنَّ المُنادي إذا دعا غيره، فإنَّ [5] المجيب لدعائه يجيبُه إسعاداً له ومساعدة. ثم نُقل ذلك إلى مُطلق الطاعة، حتى استُعمل في إجابة دعاء الله عز وجل؛ وحُكي عن العرب: سُبحانه وسعدانه. على معنى

(١) «س»: التنبيه للتكرير.

(٢) «س»: والتوكيد. ساقطة.

(٣) «س»: لبب. وينظر في أصل الكلمة: الخطابي «شأن الدعاء»: (١٢٨).

(٤) «س»: و. ساقطة.

(٥) «س»: أن.

أسبحه وأطيعه؛ تسميةَ الإسعاد لسعدان[١] كما سُمي التسبيح لسبحان[٢]. ولم يُسمع سعديك مفرداً.

ولا شك أنَّ الله تعالى يدعو عباده إلى طاعته، وإلى ما فيه رضاه عنهم وما[٣] يوجب لهم به[٤] سعادة الآخرة: فمن أجاب دُعاه واستجاب له، فقد أفلح وأنجح[٥]؛ قال الله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾ [سورة يونس، الآية: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿قالت رسلُهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض/ يدعوكم ليغفرَ لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجلٍ مسمًّى﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ١٠]، وقال حكاية عن الجن الذين استمعوا القرآن ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجركم من عذاب أليم﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٣١].

(١) «س»: بسعدان.

(٢) «س»: بسبحان.

(٣) «س»: ما. ساقطة.

(٤) «س»: به. ساقطة.

(٥) «س»: وأنجح. ساقطة.

ولهذا يقولُ المُلبي في الحج: لبيك اللهم لبيك. يعني: إجابة لدُعائك وطاعة لك، حيثُ دعوتنا إلى حج بيتك.

وكان النبيُّ ﷺ يقول في دُعاء الاستفتاح في الصلاة ـ وقد قيل إنَّه كان يقولُه في قيام الليل[١]، ورُوي أنه كان يقوله في استفتاح المكتوبة[٢] ـ: «لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخيرُ كلُّه في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرُكَ وأتوب إليك». خرَّجه مسلم، من حديث علي[٣].

(١) قاله الإمام أحمد، كما في «المغني»: (٢/ ١٤٥)، وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: (١/ ٢٠٣)، وهو المحفوظ. وينظر: أبو داود «المسائل»: (٣٠).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «الصحيح»: رقم (٦٠٧)، وهو مذهب الشافعي، كما في «الأوسط» لابن المنذر: (٣/ ٨٦)، وقال: هو من الاختلاف المباح.

(٣) مسلم في «الصحيح»: رقم (٧٧١)، وأخرجه أبو داود في «السنن»: رقم (٧٦٠)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٤٢٣)، والنسائي في «المجتبى»: (٢/ ١٣٠)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٩٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١/ ٢٣١)، وأبو يعلى في «المسند»: رقم (٢٨٥، ٥٧٤)، وابن المنذر في «الأوسط»: رقم (١٢٦٤).

ويُروى[١] من حديث حُذيفة مرفوعاً، وموقوفاً وهو أصح، [٢]يدعو محمدٌ ﷺ، فيقول[٢]: «لبيك وسعديك، والخيرُ بيديك تباركت وتعاليت، لبيك وحنانيك والمهتدي من هديت، عبدك بين يديك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت رب البيت»[٣].

فإذا كان العبد في صُبح كل يوم، يقول: لبيك اللهم لبيك وسعديك. فإنَّه يُريد بذلك: أني أصبحتُ مجيباً لدعوتك، مُسرعاً إليها مقيماً على طاعتك، ممتثلاً لأوامرك مجتنباً لنواهيك. فإذا قال هذا[٤] بلسانه: فالواجبُ أنْ يتبع ذلك بعمله؛ ليكون مُستجيباً لدعوة الله قولاً وفعلاً.

---

(١) «س»: وروي.

(٢) ما بينهما ساقط من «س».

(٣) لم أقف عليه من حديث حُذيفة. وأخرج نحوه، من حديث أبي رافع: الطبراني في «الكبير»: (١/ ٢٩٣)، والدعاء»: رقم (٤٩٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٢/ ١٠٧): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه: محمد بن إسحاق، وهو ثقة ولكنه مدلس وقد عنعنه وبقية رجاله موثقون.

(٤) «س»: ذلك.

وإنْ قال ذلك(١) / ثم خالفه(٢) بعمله، فقد كذَّب(٣) قولُه [١٨/ب]
عمله. وهو جديرٌ أنْ يُجاب كما يجاب(٤) من حج بمالٍ حرام، وقال: لبيك(٥) اللهم لبيك. فيُقال(٦): لا لبيك ولا سعديك(٧).

(٨)وفي بعض الآثار: أنَّ الله عز وجل يُنادي كلَّ يوم: ابن آدم ما أنصفتني. أذكرك وتنساني، وأدعوك إليَّ وتذهب إلى غيري، وأُذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا. ابن آدم: ما اعتذارك غداً إذا جئتني(٨).

(١) «س»: ذلك بلسانه.

(٢) «س»: خالف ذلك.

(٣) «س»: خالف.

(٤) «س»: أن لا يجاب كما لا يجاب.

(٥) لبيك. ليست في «س».

(٦) «س»: فيقال له.

(٧) أخرجه ابن مردويه في «الأمالي»: رقم (٤٤)، وابن عدي في «الكامل»: (٣/ ٩٧٣) عن عمر. قال المُنذري في «الترغيب والترهيب»: (١/ ١٨١): إسناده ضعيف جداً. وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة: رواه البزار في «المسند»: (٢/ ٦).

(٨) ما بينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

كم دعاك إلى بابه فما أجبت ولا لبَّيت، كم استدعاك إلى جنابه فقعدت[١] وأبيت. كم عُرضت عليك واجباتُه فتكاسلت وتوانيت، وزُجرت عن منهياته فما انزجرت وتماديت. كم سمعت دُعاء داعي الحق فتصاممت، وكم رأيت آياته في الخلوة فتعاميت.

فيا من جسدُه حي وقلبه ميت، يا ليتك أجبت منادي الهدى حين ناداك يا ليت. شعر

يا نفس ويحك قد أتاك هُداك
أجيبي فداعي الحق قد ناداك
كم قد دُعيت إلى الرشاد فتُعرضي
وأجبت داعي الغي حين دعاك[٢]

طُوبى لمن أجاب داعي الهُداة إذا دعاه. يا قومنا أجيبو داعي الله.

وقولُه ﷺ: «والخير في يديك» إشارة إلى أنَّ الله تعالى: إنَّما يدعو عباده إلى ما هو خير لهم، مما يُصلح دينهم

(١) من هنا ساقطٌ من «س».

(٢) نقله المؤلف في «لطائف المعارف»: (٣٠٧).

ودنياهم وآخرتهم؛ فإنَّه يدعو إلى دار السلام ويدعوهم ليغفر لهم ذنوبَهم. فإذا سارع العبدُ إلى إجابة دعوة ربه بتلبيته والاستجابة له، قال مع ذلك: والخيرُ في يديك. إشارةً إلى أني أستجيبُ دعوتك طمعاً في نيل الخير الذي كله بيديك، وأنت لا تدعو العبد إلاَّ إلى ما هو خير له في دنياه وآخرته.

يا هذا: لو دعاك مخلوقٌ ترجو / خيره لأسرعت إجابته، [١٩/أ]
مع أنه لا يملك لك ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً. فكيف لا تُسارع إجابة مَن الخيرُ كلُّه في يديه، ولا يدعوك إلاَّ لخير يُوصله إليك.

وقولُه ﷺ: «ومنك وبك وإليك» يحتمل أنَّ مراده الخير منك كله. وبك وإليك: يعني: أنَّ مبدأ الخير منك؛ كما قال تعالى: ﴿وما بكم مِن نعمة فمن الله﴾ [سورة النحل، الآية: ٥٣].

وقال: ﴿وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ [سورة الجاثية، الآية: ١٣] فالله تعالى هو المُبتدىء بالخير، فمنه بدأ ونشأ. والخيرُ به. يعني: أنَّ دوامه واستمراره وثبوته بالله، ولو شاء الله لنزعه وسلبه صاحبه. وقد قال تعالى

لنبيه ﷺ: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلاً إلاَّ رحمة من ربك إنَّ فضله كان عليك كبيراً﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٦]، يعني: أنَّ دوام هذه النعمة عليك من الله كما أنَّ ابتداءها منه.

والخيرُ إليه: أنَّه يرجع بصاحبه إلى الله في الآخرة، إلى جِواره وقُربه في جنات النعيم. فينتهي الخيرُ بصاحبه إلى الله عز وجل.

ويُحتمل أنَّ المراد بقوله «ومنك وبك وإليك»: [أنَّ العبد نفسه مِن الله وبالله وإلى الله؛ كما في الاستفتاح «أنا بك وإليك»[(١)]][(٢)]. ولعل هذا أظهر. فيكونُ معنى الكلام: أنَّ العبد وجودُه من الله؛ فإنه كان عدماً فأوجده ربُّه وخلقه، وهو في حال وجوده[(٣)] في الدنيا بالله. أي: أنَّ[(٤)] ثباته وقيامه بالله، [١٩/ب] فلولا أنَّ الله يُقيم الوجود وما فيه من أنواع الخلق / لهلك ذلك

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) ما بينهما ساقطٌ من الأصل.

(٣) إلى هنا ينتهي السقط في «س».

(٤) «س»: بأن.

كله وتلف. ومن أسمائه الحيُّ القيوم؛ وقال ﴿إنَّ الله يُمسك السموات والأرض أنْ تزولا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٤١]. وفي الأثر المعروف في قصة[١] القارورتين[٢]: يا مُوسى لو نمتُ لسقطت السماء على الأرض[٣].

وبعد انتقال العباد من هذه الدار فإنَّ مرجعهم إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ [سورة يونس، الآية: ٤]، وقال: ﴿ثم إليه تُرجعون﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨] في آيات كثيرة[٤].

---

(١) «س»: قصة. ساقطة.

(٢) علق في هامش الأصل ما نصه: فيه متهم، فينظر فإنه لم يثبت.

(٣) أخرجه أبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والدارقطني، في «الأفراد» وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والخطيب في «التاريخ» كما في «الدر المنثور»: (٧/ ٣٣) عن أبي هريرة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/ ٨٣) رواه أبو يعلى، وفيه أميه بن شبل. ذكره الذهبي في «الميزان» ولم يذكر أنَّ أحداً ضعفه، وإنما ذكر له هذا الحديث وضعَّفه به.

(٤) ينظر: سورة الروم، الآية: ١١، وسورة الزمر، الآية: ٤٤.

و[١]في هذا المعنى: قال بعضُ العارفين: حقيقة التوحيد أنْ يكون العبد قانتاً لله[٢] عز وجل، يرى الأشياء كلَّها منه وبه وإليه؛ كما قال عامر بن عبد قيس: ما نظرتُ إلى شيءٍ إلاَّ ورأيته يدل على الله[٣].

قولُه ﷺ: «اللهم ما قلتُ من قول أو نذرت من نذر أو حلفتُ من حلف فمشيئتُك بين يديه. ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيءٍ قدير». ذكر الخطَّابي[٤] في كتاب «الدُّعاء» له[٥]: أن قوله

---

(١) الأصل: و. ساقطة.

(٢) الأصل. فانياً بالله. ولعل المثبت هو الصواب. أما الفناء فمصطلح حادث لا أصل له، ومن جعله حقيقة التوحيد فقد ضل ضلالاً مبيناً. ينظر: عبد الرحمن بن حسن «فتح المجيد»: (١/ ٨٢).

(٣) «س»: الا ورأيت الله فيه. من أوجد الإنسان من عدم وأقامة ولولا الله الإله لم يقم. إليه مرجعه وهو باعثه بعد الممات من الأجداث والرمم.

(٤) أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البُستي، محدِّث فقيه لُغوي، له «غريب الحديث» و«شأن الدعاء». وُلد سنة ٣١٩هـ، ومات سنة ٣٨٨هـ. ابن العماد «شذرات الذهب»: (٣/ ١٢٧).

(٥) «س»: له. ساقطة.

«فمشيئتك» رُوي بضم التاء وفتحها، وأنَّ من رواه بالضم فإنَّ المعنى: الاعتذار بسابق[١] الأقدار العائقة عن الوفاء بما ألزم العبدُ نفسه مِن النذور والأيمان. قال: وفي هذا طرفٌ من الجبر. قال: والصواب: رواية من رواه[٢] بفتح التاء على إضمار فعل. كأنه قال: فإني أقدّم مشيئتك في ذلك، وأنوي / الاستثناء طرحاً[٣] للحنْث عني عند وقوع الحلف. [٢٠/أ]

قال: وفيه حجة لمن ذهب مذهب المكيين، في جواز الاستثناء منفصلاً عن اليمين[٤].

قلتُ[٥]: الصواب[٦]: هذا المعنى على كلا[٧] الروايتين. أعني: رواية الضم، ورواية الفتح[٨].

---

(١) «س»: السابق.

(٢) «س»: روى.

(٣) «س»: فيه حرجا.

(٤) الخطابي «شأن الدعاء»: (١٣٠).

(٥) الأصل بزيادة: قال أبو الفرج زين الدين ابن رجب.

(٦) «س»: والصواب.

(٧) «س»: كلا. ساقطة.

(٨) «س»: ورواية الفتح. ساقط.

وليس المُراد برواية الضم: الاعتذار بالقدر. وإنَّما المعنى: فمشيئتُك بين يدي ذلك كلِّه مقدَّمة. فهو مبدأٌ حُذف خبره.

ويشهد لهذا المعنى: ما أخرجه[1] أبو داود في «سُننه» بإسناده، عن أبي الدرداء أنه كان يقول: مَن قال حين يُصبح: اللهم ما حلفتُ من حلِفٍ أو قلتُ من قول أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدي ذلك كلّه، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن. اللهم اغفر لي وتجاوز عني. اللهم فمن صلَّيتَ عليه فعليه صلاتي، ومن لعنتَ فعليه لعنتي. كان في استثناءٍ يومَه ذلك[2].

فقد صرَّح أبو داود: بأنَّ المراد[3] بهذا الاستثناء بالمشيئة: أنه يكون استثناء في[4] يومه ذلك. يعني: فيما يحلفُ[5] وينذره ويقوله في ذلك[6] اليوم.

---

(١) «س»: خرجه.

(٢) أبو داود في «السنن»: رقم (٥٠٨٧) عن أبي ذر.

(٣) «س»: بأن المراد. ساقط.

(٤) «س»: في. ساقطة.

(٥) «س»: يحلف به.

(٦) «س»: هذا.

وهذا صريحٌ في أنَّه يكون استثناء في ما يستقبله من الكلام في يومه ذلك.

وأمَّا قولُ الخطابي: أنَّه يمنع(١) الحنث ـ كقول من يقول ذلك في الاستثناء المنفصل(٢) بعد الكلام ـ كما حكاه عن المكيين. فأصلُ ذلك: أنَّه قد رُوي عن المكيين، كعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار وابن جُريج وغيرهم: أنه ينفع الاستثناء بعد مُدة من اليمين(٣).

ورُوي ذلك عن ابن عباس من وجوه(٤). وقد طعن / فيها [٢٠/ب] كلِّها غيرُ واحد(٥)، منهم القاضي إسماعيل المالكي، والحافظ أبو موسى المديني. وله في ذلك مصنَّفٌ مُفرد(٦).

---

(١) «س»: يمتنع. (٢) «س»: المتصل.

(٣) والراجح: ما روي عن عطاء والحسن وأحمد، واختاره شيخُ الإسلام ابن تيمية: أنه يصح الاستثناء مادام في المجلس. ينظر: آل تيمية «المسودة»: (١٥٢)، والفتوحي «شرح الكوكب المنير»: (٣/ ٣٠٠).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٣٠٣)، والبيهقي في «السنن»: (١٠/ ٤٨).

(٥) ابن قدامة «المغني»: (١٣/ ٤٨٥)، والفتوحي «شرح الكوكب»: (٣/ ٢٩٨).

(٦) ينظر في ترجمته: الذهبي «سير النبلاء»: (٢١/ ١٥٢).

ورُوي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٤]، قال: هي خاصةٌ للنبي ﷺ دون غيره.

خرَّجه الطبراني من[1] وجه ضعيف[2].

ورُوي ذلك عن ابن جُريج أيضاً.

وقالت طائفةٌ: إنما أراد هؤلاء أنَّ هذا الاستثناء المُنفصل يحصل به امتثال قوله عز وجل ﴿ولا تقولن لشيء إنِّي فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٤]، وسببُ نزولها: أنَّ قوماً سألوا النبي ﷺ عن قصة، قال[3]: غداً أخبركم، ولم يقل إنْ شاء الله. فاحتبس الوحي عنه مدة، ثم نزلت هذه الآية[4].

---

(١) الأصل: من حديث. ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) الطبراني كما في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٧٨)، وأخرجه ابنُ أبي حاتم، وابن مردويه، كما في «المصدر السابق».

(٣) «س»: فقال.

(٤) أخرجه ابن المنذر، عن مجاهد، كما في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٧٦).

وفي الحديث الصحيح[١]: أنَّ سليمان عليه السلام قال: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة»[٢]. الحديث.

وفي الحديث: أنَّ بني إسرائيل، لو لم يقولوا إنْ شاء الله ما اهتدوا أبداً[٣]. يعني إلى البقرة التي أُمروا بذبحها.

وفي الحديث الذي في «المسند»[٤] و«السنن»: أنَّ يأجوج ومأجوج يحفرون كلَّ يوم السد حتى يكادوا يروا منه شُعاع الشمس، ثم ينصرفون ويقولون غداً نفتحه. فإذا رجعوا من الغد وجدوه كما كان أولاً. حتى يأذن اللهُ في فتحه، فيقولون: غداً نفتحه إنْ شاء الله، فيرجعون فيجدونه كما

---

(١) «س»: في الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٢٨١٩، ٣٤٢٤، ٥٢٤٢، ٦٦٣٩، ٦٧٢٠، ٧٤٦٩)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (١٦٥٤)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ٢٢٩، ٢٧٥، ٥٠٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير»: رقم (٧٢٧)، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور»: (١/ ١٨٩) عن أبي هريرة. قال ابنُ كثير في «التفسير»: (١/ ١٩٩): هذا حديثٌ غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

(٤) «س»: المسند. ساقطة.

تركوه فيفتحونه[١].

[٢١/أ] قال[٢] إبراهيم بن أدهم: قال بعضُهم / ما سأل السائلون مسألة هي أنجح من أن يقول العبد: ما شاء الله. قال: يعني بذلك: التفويض إلى الله[٣].

وكان مالك بن أنس كثيراً يقول: ما شاء الله ما شاء الله. فعاتبه رجلٌ على ذلك. فرأى في منامه قائلاً يقول: أنت المُعاتب لمالك على قوله ما شاء الله. لو شاء مالك أنْ يثقب الخردل بقوله ما شاء الله فعل.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (٣١٥١)، وقال: حديثٌ حسن غريب. وابن ماجه في «السنن»: رقم (٤١٣١)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ٥١٠، ٥١١)، وابن حبان في «الصحيح»: رقم (٦٨٢٩)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٤٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة. قال ابن كثير في «التفسير» (٥/ ١٩٤): هذا إسناد جيد قوي، ولكن في رفعه نكاره.

(٢) في «س» زيادة ما نصه: قال سعيد القداح: بلغني أن موسى عليه السلام كانت له إلى الله حاجة فطلبها فأبطأت، فقال: ما شاء الله. فإذا حاجته بين يديه، فتعجب. فأوحى الله إليه: أما علمت أن قولك ما شاء الله أنجح ما طلبت به الحوائج. [أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» كما في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٩١)].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٩١).

قال حماد بن زيد: جعل رجلٌ لرجل جُعلاً على أنْ يعبر نهراً، فعبر حتى إذا قرب من الشط، قال: عبرتُ والله. فقال له الرجل[١]: قل إن[٢] شاء الله. فقال: شاء الله أو لم يشأ. قال[٣]: فأخذته الأرض.

فلا ينبغي لأحد أنْ يُخبر بفعلٍ يفعله في المستقبل إلاَّ أنْ يُلحقه بمشيئة الله؛ فإنَّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. والعبد لا يشاء إلاَّ أن يشاء الله له[٤]. فإذا نسي هذه المشيئة ثم تذكَّرها فقالها عند[٥] ذكرها ولو بعد مدة: فقد امتثل ما أُمر به، وزال عنه الإثم. وإنْ كان لا يرفع ذلك[٦] عنه الكفارة، ولا الحِنث في يمينه. ولهذا في كلام أبي الدرداء: اللهم غفر لي وتجاوز عني[٧]. فلم يسأل[٨] إلاَّ رفع الإثم دون رفع الكفارة.

(١) «س»: رجل.

(٢) «س»: ما.

(٣) «س»: قال. ساقطة.

(٤) «س»: له. ساقطة.

(٥) «س»: تذكرها فقالها عند. ساقط.

(٦) «س»: ذلك. ساقطة.

(٧) مضى تخريجه.

(٨) «س»: أسألك.

رُوي[١] عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٤]، قال: يقول: إذا حلفت فنسيت[٢] الاستثناء فاستثن إذا ذكرت، ولو بعد خمسة أشهر أو ستة أشهر؛ فإنَّه يجزيك ما لم تحنث. خرَّجه آدمُ بن / أبي [٢١/ب] إياس في «تفسيره»[٣].

وعلى هذا حَمل قولَ ابن عباس وأصحابه طائفةٌ[٤] من العلماء، منهم: أبو مسعود الأصبهاني الحافظ[٥]، وابن جرير الطبري.

وكذا يُقال في هذا الحديث مِن تقدُّم الاستثناء[٦]؛ فإنَّ تقديمه أبعد من تأخيره عن اليمين، فإنَّ اليمين لم تُوجد[٧] بالكلية وفي تأخيره وجدت[٨].

---

(١) «س»: وكذا روي.

(٢) «س»: ونسيت.

(٣) أخرجه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٧٧).

(٤) «س»: وطائفة.

(٥) «س»: الحافظ. ساقطة.

(٦) «س»: في تقديم الاستثناء في اليمين.

(٧) «س»: لم توجد بعد.

(٨) «س»: قد وجدت.

وقد قال مالك في الاستثناء في اليمين: إنْ ذكر المشيئة يُريد بها الاستثناء نفعه[١] ذلك في منع الحنث، وإنْ كان إنَّما أراد[٢] امتثال قوله تعالى ﴿ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [سورة الكهف، الآية: ١٨]، ثم حنث[٣]، فإني أرى الكفارة. نقله[٤] ابنُ المنذر وغيره، وكذلك حكاه أبو عُبيد عن بعض[٥] العلماء.

وتردد بعضُ العلماء في وجوب الكفارة في هذا القسم؛ لتردد نظره بين اللفظ والمعنى. فلفظُه معلَّقٌ بالمشيئة، ومعناه الجزم بالفعل غير معلق، وإنَّما ذكر الاستثناء تحقيقاً وتأكيداً للفعل.

وفي الجملة: فينبغي حملُ حديث زيد بن ثابت هذا[٦] على هذا المعنى، وأنْ تُقدَّم[٧] المشيئة على كل قول يقوله

---

(١) «س»: فيمنعه.

(٢) «س»: يريد.

(٣) «س»: يحنث.

(٤) «س»: ونقله.

(٥) «س»: بعض. ساقطة.

(٦) «س»: هذا. ساقطة.

(٧) «س»: يقدم.

وحلف يحلفه ونذر ينذره؛ ليخرج بذلك من عُهدة استقلال العبد بفعله، وليحقق العبدُ أنَّه لا يكون مما يعزم عليه العبدُ ويقوله من حلِف ونذر وغيرهما إلاَّ ما شاء الله وأراده؛ ولهذا قال بعده: «ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيءٍ قدير».

[٢٢/أ] فتبرَّأ / من حوله وقوته ومشيئته بدون مشيئة الله وحوله وقوته، وأقرَّ لربه[١] بقدرته على كل شيء وأنَّ[٢] العبد عاجزٌ عن كل شيء إلاَّ ما أقدره[٣] عليه ربه.

ففي هذا الكلام: إفرادُ الرب تعالى بالحول والقوة والقُدرة والمشيئة، وأنَّ[٤] العبد غيرُ قادرٍ من[٥] ذلك كله إلاَّ على ما يقدره مولاه، وهذا نهاية توحيد الربوبية.

وللشافعي من أبيات. شعر[٦]:

---

(١) «س»: وإقراره به.

(٢) «س»: فإن.

(٣) «س»: قدره.

(٤) «س»: فإن.

(٥) «س»: على.

(٦) «س»: شعر. ساقطة.

ما شئت كان وإنْ لم أشأ
وما شئت إنْ لم تشأ لم يكن[١]

وقد حمل طائفةٌ منهم الإمام أحمد كلامَ ابن عباس في تأويل الآية على وجه آخر، وهو: أنَّ الرجل إذا قال لا أفعل كذا وكذا، ثم أراد فعله فإنَّه يستثني، ويقول[٢]: إنْ شاء الله، ثم يفعله ويتخلَّص بذلك من الكذب إذا لم يكن حلف على يمين[٣].

وكان يحيى بن سعيد القطان، إذا قال: لا أفعل كذا. لا يفعله أبداً. فإذا قيل له: لمْ تحلف[٤]. يقول: هذا أشد ـ يعني الكذب ـ لو كنتُ حلفت كان أهون، كُنت أكفر يميني وأفعله.

وسُئل الإمام أحمد عمَّن يقول: لا آكل ثم يأكل. قال: هو كذب، لا ينبغي أنْ يفعل ذلك.

(١) الشافعي «الديوان»: (٨٣).

(٢) «س»: ثم يقول.

(٣) «س»: إن لم يكن قد حلف عليه بيمين.

(٤) «س»: لا تحلف.

ونقل(١) الوليدُ بن مسلم ـ في «كتاب الأيمان والنذور» ـ عن الأوزاعي، في رجلٍ كُلِّم في شيءٍ فيقول: نعم، إنْ شاء الله. ومن نيته أن لا يفعل(٢). قال: هذا الكذب والخُلف. قال: إنَّما يجوز المُستثنى في اليمين. / قيل له، فإنَّه قال: نعم إنْ شاء الله، ومن نيته(٣) أنْ يفعل، ثم بدا له أن لا يفعل. قال: له ثُنياه(٤). [٢٢/ب]

وهذا يدل على أنَّ الاستثناء بالمشيئة في غير اليمين إنَّما ينفع لمن لم يكن مصمماً على مخالفة ما قاله من أول كلامه.

قولُه ﷺ: «اللهم وما صلَّيتُ من صلاة فعل من صليتَ وما لعنتُ من لعن فعلى مَن لعنتَ».

قال الخطَّابي: الوجهُ أنْ تُرفع التاء من: صلَّيت ولعنت. في الأولى، وأن(٥) تنصبها منهما(٦) في الأخرى.

(١) «س»: وسئل.

(٢) «س»: وما نيته إلا أن لا يفعل.

(٣) «س»: ما بنيته.

(٤) «س»: استثناؤه مخالفة ما قاله من أول كلامه.

(٥) «س»: أن. ساقطة.

(٦) «س»: منهما. ساقطة.

والمعنى: كأنه يقول: اللهم[١] اصرف صلاتي ودعائي إلى من اختصصته[٢] بصلاتك ورحمتك، واجعل لعنتي على مَن استحق اللعن عندك واستوجب الطردَ والإبعاد في حُكمك، ولا تؤاخذني بالخطأ مني في وضعها[٣] غير موضعها وإحلالها[٤] في غير محلها.

قال: وإنَّما يصح على[٥] هذا التأويل، إذا كان قد سبقت منه صلاةٌ أو لعن لغير المستحقين. قال: وقد يُحتمل أن يكون[٦] إنَّما دعا بالتوفيق، واشترط في مسألته العصمة؛ لئلا يجري على لسانه ثناءٌ إلاَّ لمن يستحق الثناء من أوليائه، ولا ذم إلاَّ لمن يستحقه من أعدائه. كأنه يقول[٧]: اللهم احفظني حتى لا أوالي إلاَّ أولياءك ولا أعادي إلا أعداءك.

(١) اللهم. ليست في «س».

(٢) «س»: خصصته.

(٣) «س»: وضعي إياها.

(٤) «س»: واحلها.

(٥) «س»: على. ساقطة.

(٦) «س»: أن يكون. ساقط.

(٧) «س»: قال.

قال: والوجه(١) الأول إنَّما(٢) ينصرف إلى الماضي والوجه الآخر في المستقبل. والله أعلم. انتهى(٣).

[٢٣/أ] / قلتُ(٤): التفسير(٥) الأول أصح؛ ويشهد له قولُ أبي الدرداء: اللهم فمن صليتَ عليه فعليه صلاتي ومن لعنت فعليه لعنتي.

وقولُ الخطابي: إنَّ هذا الوجه إنَّما ينصرف إلى الماضي. ضعيفٌ. بل الصواب: أنَّه(٦) ينصرف إلى المستقبل، وأنَّ(٧) المراد: ما(٨) لعنتُ في هذا اليوم من(٩) لعن، وما صلَّيت فيه من صلاة. يعني: ما ألعن وما أصلي.

---

(١) «س»: فالوجه.

(٢) الأصل و«س»: فإنما. والمثبت من المصدر.

(٣) الخطابي «شأن الدعاء»: (١٣١ ـ ١٣٢).

(٤) الأصل زيادة: قال زين الدين بن رجب.

(٥) «س»: التفسير. ساقطة.

(٦) «س»: أن.

(٧) «س»: وإنما.

(٨) «س»: مما.

(٩) «س»: ممن.

وهذا مما تقدَّم في قوله: ما قلتُ مِن قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف، فمشيئتُك بين يديه.

وقد وافق الخطَّابي ـ كما تقدم[1] عنه ـ أنَّ المراد به ما يقوله ويحلفه وينذره في المستقبل، فكذلك الصلاة واللعن.

واعلم أنَّ العبد مبتلى بلسانه، يلعن به[2] من [3]يغضب عليه ويمدح به مَن يرضى عنه. وكثيراً ما يمدح مَن[3] لا يستحق[4] المدح، ويلعن من لا يستحق اللعن.

وقد ورد في غير حديثٍ: أنَّ [4] اللعنة إذا[5] لم يكن الملعون بها أهلاً لها رجعت على[6] اللاعن[7].

(١) «س»: وافق ما تقدم.

(٢) «س»: به. ساقطة.

(٣) ما بينهما ساقطٌ من «س».

(٤) ما بينهما ساقطٌ من «س».

(٥) «س»: فإذا.

(٦) «س»: إلى.

(٧) أخرجه أبو داود في «السنن»: رقم (٤٩٠٥) عن أبي الدرداء، وأخرجه أبو داود في «السنن»: رقم (٤٩٠٨)، والترمذي في «الجامع»: رقم (١٩٧٩)، وقال: حسن غريب، عن ابن عباس.

واللعنُ دعاء، فربمَّا أُجيب وأصاب ذلك الملعون. وقد أمر النبيُّ ﷺ المرأة التي لعنت بعيرَها أنْ تُرسله، وقال: «لا تصحبنا ناقةٌ ملعونة»[1].

وكان بعضُ السلف: لا يدخل بيته بشيءٍ ملعون، ولا يأكل من بيض دجاجةٍ يلعنها، [2]ولا يشرب من لبن شاة لعنها[2]. قال بعضُهم: ما أكلتُ شيئاً ملعوناً قط.

وذكر ابنُ حامد من أصحابنا، عن أحمد، قال: مَن لعن عبده / فعليه أن يُعتقه. أو شيئاً من ماله أنَّ عليه أنْ[3] يتصدَّق. [٢٣/ب]

قال: ويجيءُ في لعن[4] زوجته أنَّه يلزمه[5] أن يطلقها؛

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٩٥)، وأحمد في «المسند»: (٤/ ٤٢٩، ٤٣١) من حديث عمران بن حصين. وأخرجه أحمد في «المسند»: (٦/ ٧٢، ٢٥٨) من حديث عائشة، وبنحوه من قصة أخرى مسلم في «الصحيح» رقم (٣٠٠٩) من حديث أبي اليسر.

(٢) ما بينهما ساقط من «س».

(٣) الأصل: أن. ساقطة.

(٤) «س»: لعن. ساقطة.

(٥) «س»: أن عليه.

ويشهد لهذا ـ في الزوجة ـ وقوعُ الفرقة بين المتلاعنين، لمّا كان أحدُهما كاذباً في نفس[١] الأمر قد حقَّت عليه اللعنةُ والغضب.

فإذا قدَّم العبدُ من أول نهاره في دعائه[٢]: أنَّ ما لعن من لعن فإنَّه لاحقٌ بمن لعنه الله، وما أثنى من ثناء فهو لاحق بمن أثنى الله عليه. فقد خلص بذلك من إثم لعن من لا يستحق اللعن أو[٣] من لا يستحق المدح إذا وقع ذلك سهواً أو غلطاً أو عن قوة غضب ونحوه.

فأمَّا من يتعمد[٤] ذلك مع علمه بالحال: ففي دخوله في هذا الشرط نظر، مع أنَّ عموم اشتراطه يقتضي دخوله فيه.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ (٥أنَّه اشترط أنَّه٥) من سبه أو لعنه أو ضربه في غضب ونحوه، أنَّه يكون له كفارة وصلاة. وفي

---

(١) «س»: نفس. ساقطة.

(٢) «س»: في دعائه. ساقط.

(٣) «س»: ومدح.

(٤) «س»: تعمد.

(٥) «س»: أن.

رواية: وهو غير مُستحق[١].

وهذا إنَّما يكون إذا ظن استحقاقه لذلك، ثم تبيَّن أنَّه غيرُ مستحق.

قوله ﷺ: «أنت وليي في الدنيا والآخرة توفَّني مسلماً وألحقني بالصالحين».

مأخوذٌ[٢] من دعاء يُوسف عليه السلام حين قال: ﴿فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠١]، والله عز وجل وليُّ أوليائه في الدنيا والآخرة، يتولَّى حفظَهم وكلاءتهم وهدايتهم[٣] وحراستَهم في دينهم ودنياهم ما داموا[٤] أحياء، فإذا / حضرهم الموتُ توفَّاهم على الإسلام وألحقهم[٥] بعد الموت بالصالحين. [٢٤/أ]

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٦٠٠ ـ ٢٦٠٣) من حديث عائشة، وأبي هريرة، وجابر، وأنس، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٣١٧، ٣٩٠، ٤٤٩، ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٦)، (٣/ ٣٣، ٣٩١، ٤٠٠)، (٥/ ٤٣٧، ٤٣٩)، (٦/ ٤٥).

(٢) «س»: هذا مأخوذ.

(٣) «س»: وهدايتهم. ساقطة.

(٤) «س»: ما كانوا.

(٥) «س»: وادخلهم.

وهذا أجل النعم وأتمها على الإطلاق؛ وقد قال رسولُ الله ﷺ عند وفاته «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»[(١)].

وقول يوسف عليه السلام ﴿توفَّني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ قيل: إنَّه[(٢)] دعا لنفسه بالموت. [(٣)]وهو قولُ جماعة من السلف، منهم الإمام أحمد. فيُستدل به على جواز الدعاء بالموت[(٣)] من غير ضر نزل به.

وقيل: إنَّه[(٢)] إنما دعا لنفسه بالموت على الإسلام عند نزول الموت، وليس فيه دعاءٌ بتعجيل الموت كما أخبر عن المؤمنين أنهم قالوا في دُعائهم ﴿ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٣].

ويؤيِّد التفسير الأوّل: أنَّه عقَّبه بالدعاء بالشوق إلى لقاء الله، وهو يتضمَّن الدعاء بالموت.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح: رقم (٤٥٨٦)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٣٤٤٤)، وأحمد في «المسند»: (٦/١٧٦، ٢٠٥، ٢٦٩، ٢٧٤) من حديث عائشة.

(٢) «س»: أنه. ساقطة.

(٣) ما بينهما ساقطٌ من «س».

(١) واستدل من جوَّز الدعاء بالموت(١) وتمنِّيه: بقوله تعالى ﴿قل إن كانت لكم الدارُ الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت إن كُنتم صادقين﴾(٢) [سورة البقرة، الآية: ٩٤] ، ثم ذمَّهم على عدم تمنيه(٣) بسبب سيئاتهم، وعلى حرصهم على طول الحياة في الدنيا. وكذلك قولِه تعالى: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين • ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ [سورة الجمعة، الآيتان: ٦، ٧] . وفي «المسند»، عن النبي ﷺ / «لا يتمنينَّ أحدٌ [٢٤/ب] الموت إلاَّ من وثق بعمله»(٤).

فمن كان له عملٌ صالح فإنَّه يتمنَّى القدومَ عليه،

(١) ما بينهما ساقطٌ من «س».

(٢) «س» بزيادة: الآية.

(٣) «س»: تمنيهم.

(٤) أحمد في «المسند»: (٢/ ٣٥٠) من حديث أبي هريرة، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٢٠٦): رواه أحمد، وفيه ابن لَهيعة وبقيةُ رجاله رجال الصحيح. وله شاهدٌ من حديث عمرو بن عَبسة، رواه الطبراني كما في «المصدر السابق»، وقال: فيه جماعة لم أعرفهم.

وكذلك من غلب عليه الشوقُ إلى لقاء الله[١].

وأمَّا من تمنى الموت خوف فتنته في الدين[٢]، فإنَّه يجوز بغير خلاف. [٣]وقد بسطنا الكلام على هذه المسائل في غير هذا الموضع[٣].

قولُه ﷺ: «اللهم إنِّي أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

هذه الثلاث الخصال: قد رُوي عن النبي ﷺ أنَّه كان يدعو بها في غير هذا الحديث أيضاً، من حديث عمَّار بن

---

(١) قال المؤلف في «لطائف المعارف»: (٣١٢): ولكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عُمر المؤمن كلَّما طال، ازداد بذلك ماله عند الله من الخير، فلا ينبغي له أن يتمنى انقطاع ذلك.

(٢) «س»: في الدين. ساقطة.

(٣) ما بينهما زيادة من «س». وأصل ذلك: حديث معاذ وغيره، في اختصام الملأ الأعلى، وفيه «وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون» أخرجه أحمد في «المسند»: (٥/ ٢٤٣)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٢٣٥)، والطبراني في «الكبير»: (٢٠/ ١٠٩)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٢١) بإسناد صحيح. وينظر كلام المؤلف في هذا: «اختيار الأوْلى»: (١١٨).

ياسر، عن النبي ﷺ[١]. ⁽٢وقد شرحنا حديثَه بتمامه في موضع آخر٢⁾[٢].

فأمَّا الرضا بالقضاء: فهو من علامات المُخبتين[٣] الصادقين في المحبة، فمتى امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكلِّ ما يقضيه عليها من مؤلمٍ ومُلائم.

⁽٤سيان إنْ لامـوا وإنْ عَـذلوا
مـا لـي عـن الأحباب مصطبرُ
لابـد لـي مـنهم وإنْ تركـوا
قـلبي بنـار الهـجر تسـتعرُ
وعلي أنْ أرضى بما حكموا
وأطـيع فـي كـل مـا أمـروا٤⁾

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٢٦٤)، والنسائي في «المجتبى»: (٣/ ٥٤)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٢٤) بسند صحيح.

(٢) أفرد المؤلف له جزءاً خاصاً، طبع عام ١٤٠٨هـ.

(٣) «س»: المحبين.

(٤) ما بينهما زيادة من «س».

إذا امتلأت القلوبُ بالرضا عن المحبوب، صار رضاها في ما يرد عليها من أحكامه وأقداره. قال عُمر بن عبد العزيز: أصبحتُ وما لي سرور إلاَّ في مواقع القضاء والقدر[١].

دخلوا على بعض التابعين في مرضه، فقال: أحبُّه إلي أحبه إليه.

[٢] إنْ كان سرّكم[٣] ما قد بُليت به
فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم
حسْب سُلطان الهوى: أنه يُلذّ كلَّ ما يؤلم[٢].

وربَّما اختار بعضُ المحبّين[٤]: الذُّلَ على العز، والفقر على الغنى، والمرضَ على الصحة، والموت على الحياة.

[٢] عـزّيَ ذُلي وصـحتي في سـقمي
يا قوم رضيتُ في الهوى سفك دمي
عُـذّاليَ كفُّـوا فمِـن مـلامي ألم
من بات على مواعيد اللقاء لم ينم[٢]

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا»: رقم (٤٦) بنحوه.

(٢) ما بينهما زيادة من «س». والبيت من كلام المتنبي «الديوان»: (٣/ ٣٧٠).

(٣) «س»: سروركم. ولعل المثبت هو الصواب. (٤) «س»: الصالحين.

وإنَّما قال ﷺ: «الرضا بعد القضاء» لأنَّ ذلك هو الرضا حقيقة.

وأمَّا الرضا بالقضاء قبل وقُوعه: فهو عزمٌ على الرضا، وقد تنفسخ / العزائمُ عند[1] وقوع الحقائق. [٢٥/أ]

ومع هذا فلا ينبغي أنْ يَستعجل العبدُ البلاءَ، بل يسأل الله العافية.

فإنْ نزل البلاءُ تلقَّاه بالرضا.

قُتل لبعضهم ولدان في الجهاد، فجاءه الناسُ يُعزّونه بهما[2]. فبكى، وقال:

ما أبكي على قتلهما، ولكن كيف كان[3] رضاهما عن الله حين أخذتهما السيوف!

---

(١) «س»: مع.

(٢) «س»: بهما. ساقطة.

(٣) «س»: كان. ساقطة.

إنْ كـان سكّـان الغضا
رضـوا بـقـتلي فـرضـا
والله مـا كـنت لـمـا
يهـوى الحبيبُ مُبغضا
صرت لهم عبداً وما
لـلعـبد أنْ يعـترضـا[2]
مـن لمـريض لا يـرى
إلاَّ الطـبيب المُمرضا[1]

وأمَّا بَرد العيش [3]بعد الموت. فالمرادُ به: طيب العيش[3] ولذاذته وما تقربه[4] عين صاحبه.

فإنَّ البرد يحصل به: قُرة عين الإنسان، وطيبها. وبرد القلب: يوجب انشراحه وطمأنينته، بخلاف حرارة القلب والعين.

(١) ما بينهما زيادةٌ من «س». والقصة والأبيات، ذكرها المؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (١١١)، و«نور الاقتباس»: (٨٨)، و«شرح حديث عمار»: (٤٠).

(٢) «س»: يتعرضا. ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) ما بينهما ساقط من «س». (٤) «س»: ولذاته وما يقربه.

ولهذا في الحديث «طهر قلبي بماء الثلج والبرد»[١].

ودمعةُ السرور باردة، بخلاف دمعة الحُزن فإنَّها حارة.

فبردُ العيش: هو[٢] طيبه ونعيمه، وفي الحقيقة: إنَّما يكمل طيب العيش ونعيمه في الآخرة لا في الدنيا؛ كما قال النبي ﷺ «اللهم لا عيش إلاَّ عيش الآخرة»[٣].

وسببُ ذلك:

أنَّ ابن آدم مركبٌ من جسد وروح، وكل منهما يحتاج إلى ما يتقوَّت به ويتنعم به، وذلك هو عيشه.

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: رقم (٤٧٦)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٥٤١)، والنسائي في «المجتبى»: (١/ ١٩٩)، وأحمد في «المسند»: (٤/ ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٨١)، وابن حبان في «الصحيح»: رقم (٩٥٥، ٩٥٦)، والطيالسي في «المسند»: (١/ ٢٥٦)، والطبراني في «الأوسط»: رقم (٢٢٠٠)، و«الدعاء»: رقم (١٤٤١) من حديث ابن أبي أوفى.

(٢) «س»: هو. ساقطة.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٦٤١٣، ٦٤١٤)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (١٨٠٤، ١٨٠٥)، وأحمد في «المسند»: (٣/ ١٧٢، ٢٧٦)، (٥/ ٣٣٢) من حديث أنس، وسهل بن سعد.

فالجسدُ عيشه: الأكلُ والشرب والنكاح واللباس[١] والطيب، وغير ذلك من اللذات الحسية.

ففيه بهذا الاعتبار: مُشابهة بالحيوانات في هذه الأوصاف.

وأمَّا الروح: فهي لطيفة، وهي روحانية من جنس الملائكة. فقوتُها ولذتها وفرحها وسرورُها في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها، وفي ما يقرب منه / مِن طاعته في ذكره [٢٥/ب] ومحبّته والأنس به والشوق إلى لقائه.

فهذا هو عيشُ النفس وقوتُها، فإذا فقدت ذلك مرضت و[٢] هلكت أعظم مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشرابه؛ ولهذا يوجد كثير من أهل الغِنى والسعة يُعطي جسده حظَّه من التنعيم[٣]، ثم يجد ألماً في قلبه ووحشة. فيظنّه الجهال[٤] أنَّ هذا يزول بزيادة هذه اللذات الحسية، وبعضُهم يظن أنَّه يزول بإزالة العقل[٥] بالسُّكر. وكلُّ هذا يزيد الألم والوحشة.

(١) «س»: اللباس. ساقطة.

(٢) «س»: أو.

(٣) «س»: النعيم.

(٤) «س»: الجاهل.

(٥) «س»: بإزالة العقل. ساقط.

وإنَّما سببُه: أنَّ الروح فقدت قوَّتها وغذاءها، فمرضت وتألَّمت.

(١)إذا كُنت قوت النفس ثم هجرتها
فلن تصبر النفسُ (٢) التي أنت قوُتُها
ستبقى بقاء الضبِّ في الماء أو كما
يعيش ببيداء المفاوز حوتُها(١)

قال بعضُ العارفين لقوم(٣): ما تعدُّون العيش فيكم. قالوا: الطعام والشراب، ونحو ذلك. فقال: إنَّما العيش، أن لا يبقى منك جارحة إلاَّ وهي تجاذبك إلى طاعة الله.

مَن عاش مع الله طاب عيشه، ومن عاش مع نفسه وهواه طال طيشه.

قال الحسن: إنَّ أحباء(٤) الله، هم الذين ورثوا أطيب(٥)

---

(١) ما بينهما زيادةٌ من «س».

(٢) «س»: فلم تصبر النفوس. ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) «س»: لقوم. ساقطة.

(٤) الأصل: قال الحسن. سبقُ قلم.

(٥) «س»: طيب.

الحياة بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم، وبما وجدوا من لذَّة حبّه في قلوبهم.

وأكل إبراهيمُ[١] مع أصحابه كِسراً يابسة، ثم قام إلى نهرٍ فشرب منه بكفه، ثم حمد الله، وقال: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا[٢] بالسيوف أيام الحياة، على ما نحن فيه من لذيذ / العيش وقلة التعب. [٢٦/أ]
فقال بعضُ أصحابه: يا أبا إسحاق طلب القومُ الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم[٣]، ثم قال: من أين لك هذا[٤]. شعر[٥].

أهل المحبة قومٌ شأنهم عجب
سرورهم أبدٌ[٦] وعيشهم طرب

---

(١) «س»: إبراهيم بن أدهم.
(٢) «س»: لجالدونا عليه.
(٣) «س»: فتبسم. ساقطة.
(٤) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٧/ ٣٧٠).
(٥) «س»: شعر. ساقطة.
(٦) «س»: زائد.

العيش عيشهم والملك ملكهم

ما الناس إلا هم بانُوا أو اقتربوا[١]

قيل لبعض العارفين، وقد اعتزل عن الخلق: إذا هجرتَ الخلقَ مع من تعيش. قال: مع من هجرتهم لأجله.

ويُروى عن المسيح، أنَّه قال: يا معشر الحواريين، كلِّموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلاً. قالوا: كيف نكلم الله كثيراً. قال: اخلوا بذكره، اخلوا بدُعائه اخلوا بمناجاته[٢].

[٣]ما أطيب عيش مَن يخلو بحبيب

من أمّل فضل مثلكم كيف يخيب[٣]

واعلم أنَّ الجمع بين هذين العيشين في دار الدنيا غيرُ ممكن، فمن اشتغل بعيش روحه وقلبه و[٤] حصل له منه نصيب وافر: لهى[٥] عن عيش جسده وبدنه، ولم يقدر أنْ

---

(١) نقله المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٣٤).

(٢) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٦/ ١٩٥) عن ثور بن يزيد.

(٣) ما بينهما زيادة من «س».

(٤) «س»: و. ساقطة.

(٥) «س»: ومن لهى.

يأخذ منه نهاية شهوته، ولم يقدر أنْ يتوسَّع في نيل الشهوات الحسية[١]، وإنما يأخذ منها بقدر ما تقوم به حاجةُ البدن خاصة. فينتقص بذلك عيشُ الجسد، ولابد.

وهذه كانت طريقةُ الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وكان[٢] الله يختار أنْ يقلل نصيبهم من عيش أجسادهم ويوف[٣] نصيبهم مِن عيش قلوبهم وأرواحهم.

قال سهل التستُري: ما أتى الله عبداً مِن قُربه ومعرفته نصيباً إلاَّ حرمه (٤من الدنيا بقدر ما أعطاه من معرفته وقربه، ولا أتاه من الدنيا نصيباً إلاَّ حرمه٤) من معرفته وقُربه / بقدر ما أتاه [٢٦/ب] في الدنيا.

وقد[٥] كان النبيُّ ﷺ يقتصد في عيشه غاية الاقتصاد، مع ما فتح اللهُ عليه من الدنيا والمُلك. ومات ولم يشبع من خُبز

---

(١) «س»: الحسية و. ساقط.

(٢) «س»: فكان.

(٣) «س»: ويوفر.

(٤) ما بينهما ساقطٌ من الأصل.

(٥) «س»: قد. ساقطة.

الشعير، وكان يقول:

«ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال[١] في ظل شجرةٍ ثم راح وتركها»[٢].

وقال ﷺ: «حُبب إلي من دُنياكم النساء والطيب وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة»[٣].

والنساءُ والطيب فيهما قوَّة للروح، بخلاف الطعام والشراب فإنَّ [٤]الإكثار منهما يقسّي القلب ويفسده، وربما أفسد البدن أيضاً؛ كما قال النبي ﷺ[٤]:

(١) علق في هامش الأصل ـ وكتب عليه حرف (ح) ـ ما نصه: هو من القيلولة.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (٢٣٧٨)، وقال: حديثٌ حسن صحيح. وابن ماجه في «السنن»: رقم (٤١٦١)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٣٩١)، عن ابن مسعود، وأخرجه أحمد في «المسند»: (١/ ٣٠١) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبى»: (٧/ ٦١)، وأحمد في «المسند»: (١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥)، وأبو يعلى في «المسند»: رقم (٣٤٨٢، ٣٥٣٠)، والحاكم: (٢/ ١٦٠)، عن أنس، قال ابن حجر في «التلخيص»: (١١٦/٣): إسناده حسن.

(٤) ما بينهما ساقطٌ من «س».

«ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، فإنْ كان لابُدَّ فاعلاً فثلثُ طعام وثلث شراب وثلث نفس»[١].

قال[٢] بعضُ السلف: قلَّةُ الطعام عونٌ على التسرُّع[٣] إلى الخيرات.

وقال آخر: ما قلَّ طعامُ امرىء إلاَّ رق قلبُه ونديت عيناه.

وقال إبراهيمُ بن آدم: الشِّبع يميت القلب، ومنه يكون[٤] الفرحُ والمرح والضحك.

وقال أبو سليمان: إنَّ النفس إذا جاعت وعطِشت صفي القلبُ ورق، وإذا[٥] شبِعت ورويت عمي القلب.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (١٣٨١)، وقال: حديثٌ حسن صحيح. وابن ماجه في «السنن»: رقم (٣٣٩٢)، وأحمد في «المسند»: (٤/ ١٣٢)، والنسائي في «الكبرى»: رقم (٦٧٦٨ ـ ٦٧٧٠)، وابن حبان في «الصحيح»: رقم (٦٧٤، ٥٢٣٦)، والطبراني في «الكبير»: (٢٠/ ٦٤٥)، وابن المبارك في «الزهد»: (٦٠٣)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ١٢١)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث المقدام. وحسنه ابن حجر في «الفتح»: (٩/ ٥٢٨).

(٢) «س»: وقال.

(٣) «س»: السري.

(٤) «س»: يكون. ساقطة.

(٥) «س»: فإذا.

وقال: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

وقيل للإمام أحمد: يجدُ الرجلُ رقَّة من قلبه وهو يشبع. قال: ما أرى[١]. ولهذا المعنى شرع اللهُ الصيام، وقد كان النبيُّ ﷺ يُواصل في صيامه أياماً فلا يأكل ولا يشرب. فإذا سُئل عن / ذلك يقول «إني لستُ مثلكم إني أظل عند ربي يُطعمني ويسقين»[٢] يُشير إلى أنَّه يستغني عن قُوت جسده بما يمنحه اللهُ من قوت روحه عند الخلوة به والأُنس بذكره ومناجاته، مما يُورده على قلبه من المعارف القُدسية والمواهب الإلٰهية. شعر[٣]. [٢٧/أ]

---

(١) أخرجه المرُّوذي في «الورع»: (٢/ ١٠٠)، وانظر: المؤلف، «ذم قسوة القلب»: (٢١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (١٩٦٦)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (١١٠٣)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٨١، ٤١٨)، والفريابي في «الصيام»: (١٥ ـ ١٩) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (١٩٦١، ٧٢٤١)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (١١٠٤)، وأحمد في «المسند»: (٣/ ١٢٤، ١٧٠، ١٧٣، ٢٥٣، ٣٠٣) من حديث أنس، ومن حديث عائشة، وأبي سعيد، وابن عمر.

(٣) «س»: شعر. ساقطة.

لها أحاديثُ من ذكراكَ تُشغلها
عن الطعام وتلهيها عن الزاد[١].

واعلم أنَّ عيش الجسد يُفسد عيشَ الروح وينغصه، وأمَّا عيشُ الروح فإنَّه يُصلح عيشَ الجسد، وقد يُغنيه عن كثيرٍ مما يحتاج إليه من عيشه. كان بالبصرة رجلٌ من المجتهدين في الطاعة، وكان قليلُ الطعام وبدنُه غير مهزول. فسُئل عن سبب ذلك، فقال: ذلك مِن فرحي بحب الله، إذا ذكرتُ أنَّه ربي وأنا عبده لم يمنع[٢] بدني أنْ يصلح.

وسُئل أبو الحسين بن بشار: هل يكون الوليُّ سَمينا. قال: نعم إذا كان الولي أميناً. قيل له: كيف، واللهُ يُبغض الحَبْر السمين. قال: إذا علم الحبر عبدَ مَن هو ازداد سمنا.

وكان بشر يخطر[٣] في داره، ويقول: كفى بي عِزاً أني لك عبد، وكفى بي فخراً أنك لي رب.

(١) نقله ابن القيم في «زاد المعاد»: (٢/ ٣٣)، والمؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (١٠١).

(٢) «س»: يزل.

(٣) «س»: يخطو.

(١) نُسبت لكم عبداً وذلك بغيتي
وتشريفُ قدري نسبتي لعُلاكم
فكل عذاب في هواكم يلذُّ لي
وكل هوانٍ طيب في هواكم
لحا الله قلبي إنْ تغيَّر عنكم
وإن مال في الدنيا لحب سواكم(١)

فمن وفَّى نفسه حظها من عيش جسده بالشهوات الحسية كالطعام والشراب فسد قلبُه وقسى، وجلب له ذلك الغفلةَ وكثرة النوم. فنقص حظٌّ روحه وقلبه من طعام المناجاة وشراب المعرفة، فخسر خُسراناً مبيناً.

قال بعضُهم: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا
[٢٧/ب] أطيب شيءٍ فيها. قيل: وما هو. قال: / معرفةُ الله عزَّ وجل، فمن عاش في الدنيا لا يعرف ربَّه ولا ينعم بخدمته، فعيشُه عيش البهائم. شعر(٢).

(١) ما بينهما زيادةٌ من «س».

(٢) «س»: شعر. ساقطة.

نهـارُك يـا مغرورُ سهـوٌ وغفـلة
وليلـك نـومٌ والـردى لـك لازم
وتتعـب فيـما سـوف تكـره غِبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم[١]

فالصالحونُ كلهم قللوا من عيش الأجساد وكثَّروا[٢] من عيش الأرواح، لكن منهم من قلَّل من عيش بدنه ليستوفيه في الآخرة، وهذا تاجرٌ. ومنهم من فعل ذلك خوفاً من الحساب عليه في الآخرة.

والمحققون: فعلوا ذلك تفريغاً للنفس عمَّا يشغل عن الله، لتتفرَّغَ[٣] القلوبُ للعكوف على طاعته وخدمته وذكره[٤] وشكره والأُنس به والشوقِ إلى لقائه.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «سيرة عمر بن عبد العزيز»: (١٩٣) وأنَّه كان يتمثَّل بهذه الأبيات، من كلام عبد الله بن عبد الأعلى. ونقله المؤلف في «ذم الخمر»: (٤٠).

(٢) «س»: وتوفروا.

(٣) «س»: لتفرغ.

(٤) : وذكره. ليست في «س».

فإنَّ الأخذ من عيش الأجساد أكثر من قدر الحاجة يُلهي عن الله، ويُشغل عن خدمته.

قال بعضُهم: كلُّ ما يُشغلك عن الله فهو عليك شؤم(١)، فلا كان ما يُلهي عن الله؛ إنَّه يَضر ويُردي(٢)، إنَّه لشؤم(١).

فما تفرَّغ أحدٌ لطلب عيش الأجساد وأعطى نفسَه حظَّها من ذلك إلاَّ ونقص حظُّه من عيش الأرواح، وربما مات قلبُه من غفلته عن الله وإعراضه عنه، وقد ذمَّ الله من كان كذلك قال الله عز وجل: ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ [سورة مريم، الآية: ٥٩].

[٢٨/أ] ثم إنَّ ما حصَّلوه من شهواتهم ينقطع ويزول / بالموت، وينقص بذلك حظُّهم(٣) عند الله في الآخرة. (٤فإن كان ما حصَّلوه من شهواتهم٤) من حرام فذلك هو الخسرانُ المُبين؛ فإنَّه يُوجب العقوبة الشديدة في الآخرة.

---

(١) «س»: مشؤوم.

(٢) «س»: ويؤذي.

(٣) «س»: حظهم بذلك.

(٤) ما بينهما مكرر في الأصل.

فلمَّا لم يجتمع في الدنيا للعبد بلوغُ حظّه من عيش رُوحه وبلوغ نهاية حظِّه من عيش جسده، جعل اللهُ للمؤمنين داراً جمع لهم فيها ما[١] بين هذين الحظَّين على نهاية ما يكون من الكمال، وهي الجنة.

فإنَّ فيها جميعَ لذات الأجساد وعيشها ونعيمها؛ كما قال الله تعالى ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذ الأعين﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٧١]، وقال: ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ [سورة ق، الآية: ٣٥]، ولا يُنقصُ ذلك[٢] حظَّهم من لذات أرواحهم؛ فإنَّه تتوفر لذات قلوبهم وتتزايد على ما كانت[٣] للمؤمنين في الدنيا، مما لا نسبة لما كان في الدنيا إليه. فإنَّ الخبر في الدنيا يصير هناك عياناً، فأعلى نعيمُهم هناك رؤية الله ومشاهدته وقُربه ورضاه، وتحصل لهم بذلك نهايةُ المعرفة به والأُنس. ويتزايد هنالك لذةُ ذكره على ما كان في الدنيا؛ فإنَّهم يُلهمون التسبيح كما يلهمون النفسَ، وتصير

(١) «س»: ما. ساقطة.

(٢) «س»: ذلك. ساقطة.

(٣) «س»: كان.

كلمةُ التوحيد لهم كالماء البارد لأهل الدنيا. فعُلم بهذا أنَّ العيش الطيب على الحقيقة لا يحصل في الدنيا، إنما يكون بعد الموت. فإنَّ من يُوفر[١] حظَّه من نعيم روحه[٢]/ [٢٨/ب] وقلبه في الدنيا[٣]يتوفَّر في الآخرة أيضاً، ومن توفَّر حظُّه من نعيم جسده في دنياه وسرَّ بها نقص في الدنيا[٣] ونقص به أيضاً حظُّه من نعيم الآخرة.

ومع هذا فهو نعيمٌ منغَّص لا يدوم ولا يبقى، وكثيراً ما يُنغَّص بالأمراض والأسقام وربما انقطع وتبدَّل صاحبه بالفقر والذل بعد الغنى والعز. وإنْ[٤] سلم من ذلك كلِّه فإنَّه ينغصه الموتُ، فإذا جاء الموت فما كأن مَن تنعم بالدنيا[٥] ذاق شيئاً من لذاتها، خصوصاً إنْ انتقل[٦] بعد الموت إلى عذاب

---

(١) «س»: توفر.

(٢) «س»: جسده.

(٣) ما بينهما ساقطٌ من «س» ومعلَّقٌ في هامش الأصل بخط مخُتلف وعليه كلمة صح. وهذا ما استظهرتُه.

(٤) «س»: فإن.

(٥) «س»: في الدنيا ولذاتها كأنه ما.

(٦) «س»: إذا انتقل العبد.

الآخرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿أفرأيت إنْ متعناهم سنين • ثم جاءهم ما كانوا يُوعدون • ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتعون﴾ [سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥ـ٢٠٧].

وكان الرشيدُ قد بنى قصراً، فلمَّا فرغ منه استدعى فيه بطعامٍ وشراب وملاهي[١] واستدعى أبا العتاهية، فقال له: صِف لي ما نحن[٢] فيه من العيش. فأنشأ يقول. شعر[٣].

عِش ما بدا لك سالماً
في ظل شاهقة القُصور
يُسعى عليك بما اشتهيت
لدى الرَّواح وفي البكور
فإذا النفوسُ تقعقعت
في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً
ما كنت إلَّا في غُرور

---

(١) لعل ما ذُكر من المُباحات، إذ لا يُظن بمثل أمير المؤمنين الرشيد إلا ذلك. والله أعلم.

(٢) «س»: فقال صف ما نحن.

(٣) «س»: شعر. ساقطة.

فبكى الرشيد. فقال له الوزير: دعاك أميرُ المؤمنين لتسره فأحزنته. فقال الرشيد: دعه، فإنَّه رآنا في عمى فكره أنْ يزيدنا عمى(١).

نظر بعضُ المترفين(٢) عند موته إلى منزله فاستحسنه، وقال. شعر

[٢٩/أ] / إنَّ عيشاً يكون آخره الموت

لعيش معجَّل التنغيص.

ثم مات من يومه.

(٣وقال آخر:

يا غنيا بالدنانير

مُحب الله أغنى٣)(٤)

---

(١) نقله ابنُ كثير في «البداية»: (١٠/٢١٨)، والمؤلف في «شرح حديث عمار»: (٣٣)، والأبياتُ في «ديوان أبي العتاهية»: (٩٢).

(٢) «س»: العارفين.

(٣) ما بينهما زيادةٌ من «س».

(٤) نقله المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٤٢)، و«استنشاق نسيم الأنس»: (٨١) عن الحسن بن يسار.

وقال آخر: شعر[١]

إنـما الدنـيا وإنْ سرَّت
قـليلٌ مـن قـليل
إنَّما العيش جوار الله في
ظـل ظـليل
حين لا تسمع ما يؤذيك
مِـن قـال وقـيل[٢]

وقال آخر:

وكيف يلذ العيش من كان عالماً
بـأنَّ إلٰـه الخلـق لابـد سـائله
فيأخـذ مـنه ظـلمه لعـباده
ويجزيه بالخير الذي هو فاعله[٣].

---

(١) «س»: شعر. ساقطة.

(٢) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (١٠/ ٢١٧) عن محمد بن منصور.

(٣) نقله المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٤١)، و«أهوال القبور»: (٣١١) عن ابن أبي الدنيا.

فالأشقياءُ في البرزخ في عيش ضنك؛ قال الله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكاً﴾ [سورة طه، الآية: ١٢٤].

وقد رُوي عن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً و[1] موقوفاً: أنَّ المعيشة الضنك عذاب القبر. يضيق عليه قبرُه حتى تختلف أضلاعُه، ويسلَّط عليه تسعة وتسعون تنيناً[2].

---

(١) «س»: أو.

(٢) أخرجه مرفوعاً: الترمذيُّ في «الجامع»: رقم (٢٤٦٠) وقال: حديثٌ حسن غريب. وسعيد بن منصور، ومسدد، وعبد بن حُميد، وابن المُنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور»: (٥/ ٦٠٧)، والخلال، كما في «أهوال القبور»: (١٢٤)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٣٨١) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر»: رقم (٥٩). وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة: أخرجه البزار في «المسند»: رقم (٢٢٣٣)، وبقي بن مخلد، كما في «أهوال القبور»: (١٢٢)، والأجري في «الشريعة»: (٣٥٨) بإسناد جيد، كما قال ابنُ كثير في «التفسير»: (٥/ ٣١٧). وأخرجه موقوفاً: عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/ ٢١)، والطبري في «التفسير»: (١٦/ ٢٢٧)، والبيهقي في «عذاب القبر»: رقم (٦٠، ٦١)، والخلال، كما في «أهوال القبور»: (١٢٣)، قال ابنُ كثير في «التفسير»: (٥/ ٣١٦)، والموقوف أصح.

وأما عيشهم في الآخرة فأضيق وأضيق، فأما من طاب عيشه بعد الموت فإن طيب عيشه لا ينقطع بل كلما جاء تزايد طيبه. ولهذا سئل بعضهم: من أنعم الناس. فقال: أجسام في التراب قد أمنت العذاب، وانتظرت الثواب. فهذا في البرزخ في عيش طيب[1].

رُؤي معروف في المنام بعد موته، وهو يُنشد:

موت التقي حياة لا نفاد لها
قد مات قومٌ وهم في الناس أحياء[2]

وكان إبراهيم بن أدهم يُنشد:

ما أحد أنعم من مُفرد
في قبره أعماله تؤنسُه
منعَّم الجسم وفي روضة
زيَّنها الله فهي مجلسه

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٥/ ١٥٤)، وابن المبارك في «الزهد»: رقم (٢٧٥) عن ابن عطية.

(٢) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٨/ ٣٦٠)، وابن أبي الدنيا في «المنامات»: رقم (١٤٨).

رؤي بعضُ الصالحين في المنام بعد موته، فقال: نحن بحمد الله[١] في / برزخ محمود، نفترشُ فيه الريحان ونتوسَّد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور. [٢٩/ب]

رُؤي بعضُ الموتى في المنام[٢] فسئل عن حال الفُضيل بن عياض، فقال: كُسي حلَّة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها.

فأمَّا عيشُ المتقين في الجنة فلا يحتاج أنْ يُسأل عن طيبه ولذته، ويكفى في ذلك قوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية • في جنة عالية • قطوفها دانية • كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [سورة الحاقة، الآيات: ٢١ / ٢٤]. ومعنى راضية: أي: عيشةٌ يحصل بها الرضى. وفسَّر ابنُ عباس: هنيئاً. بأنَّه لا موت فيها[٣]، يُشير إلى أنَّه لم يهنهم العيش إلاَّ بعد الموت والخلود فيها.

---

(١) بحمد الله ليست في «س».

(٢) «س»: في المنام. ساقط.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٣١)، وأخرجه عبد ابن حُميد، وابن المنذر، عن عكرمة، كما في «المصدر السابق»: (٨/ ٣٨٨).

قال يزيدُ الرقاشي: أمن أهلُ الجنة الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام فهنأ لهم في جوار الله طول المقام.

وقال الله تعالى: ﴿إنَّ المتقين في جنات وعيون﴾[1] [سورة الذاريات، الآية: ١٥]، ﴿إنَّ المتقين في جنات ونَهر • في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [سورة القمر، الآيتان: ٥٤ ـ ٥٥]، أدنى أهل الجنة منزلة [من ينظر في ملكه وسُرره وقصوره مسيرة ألفي عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه. وأعلاهم][2] من ينظر إلى وجه ربه بكرة وعشيا[3].

وقال طائفةٌ من السلف[4]: إنَّ المؤمن له بابٌ في الجنة[5] من داره إلى دار السلام، يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن.

---

(١) هذه الآية ليست في «س». (٢) ما بينهما ساقطٌ من الأصل.

(٣) أخرجه مرفوعاً: الترمذي في «الجامع»: رقم (٢٥٥٦، ٣٣٣٠)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ١٣)، وأبو يعلى في «المسند» رقم (٥٧١٢، ٥٧٢٩)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٥٠٩)، والدارقطني في «الرؤية»: رقم (١٧٠ ـ ١٧٤) عن ابن عمر. وأخرجه موقوفاً: الترمذي في «الجامع»: رقم (٢٥٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٣/ ١١١).

(٤) «س»: قال بعض السلف. (٥) «س»: بابان من الجنة.

قال أبو سُليمان الداراني: وإذا أتاه رسولٌ من ربِّ العزة بالتحية(١) واللُّطف، فلا يصل إليه حتى (٢)يستأذن عليه(٢)، يقول للحاجب: استأذن لي على ولي الله، فإني لستُ أصل إليه. (٢)فيُعلم ذلك الحاجبُ حاجباً آخر حتى يصل إليه(٢)/ ، [٣٠/أ] فذلك قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً﴾(٣) [سورة الإنسان، الآية: ٢٠].

(٤)فلله ذاك العيش بين خيامها
وروضاتها والثغرُ في الروض يبسم
ولله كم من خيرةٍ إنْ تبَسَّمت
أضاء لها نورٌ من الفجر أعظم(٥)
ولله واديها الذي هو موعد
المزيد لوفد الحب لو كنتَ منهم

---

(١) في مصادر التخريج: بالتحفة.
(٢) ما بينهما ساقطٌ من «س».
(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور»: رقم (٤٠٣).
(٤) من هنا زيادة من «س».
(٥) «س»: أضاء لها الجنات حين تبسم. والمثبت من «المصدر».

بذيالك الوادي يهيم صبابة

محب يرى أنَّ الصبابة مغنم

ولله أفراحُ المحبين عندما

يخاطبهم مولاهم ويُسلِّم

ولله أبصارٌ ترى الله جهرةً

فلا الغيم يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرةً أهدت إلى القلب نظرة

أمن بعدها يسلو المحب المتيم

فروحك قرّب إن أردت وصالهم

فما غلبت نظر تشري بروحك منهم

وأقدم ولا تقنع بعيش منغص

فما فاز باللذات من ليس يُقدم

فصم يومك الأدنى لعلك في غد

تفوز بعيد الفطر والناس صوّم

فيا بائعا هذا ببخس معجل

كأنك لا تدري بلى سوف تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم[١]

قوله ﷺ بعد هذا: «وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

فهذا يشتمل على[٢] أعلى نعيم المؤمن في الدنيا والآخرة، وأطيب عيشٍ لهم في الدارين

فأمَّا لذَّةُ النظر إلى وجه الله عز وجل: فإنَّه أعلى نعيم أهل الجنة، وأعظم لذة لهم؛ كما في «صحيح مسلم» عن صُهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهلُ الجنة الجنة نادى المُنادي: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند الله موعداً يُريد أنْ يُنجزه. فيقولون: ما هو. ألم يبيّض وجوهنا ألم يثقل موازيننا ألم يُدخلنا الجنةَ ألم يُجرنا من النار. قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه. فوالله ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه، وهو الزيادة». ثم تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية ﴿للذين

---

(١) إلى هنا تنتهي الزيادة من «س» والأبيات، من كلام ابن القيم في «حادي الأرواح»: (٣٠)، و«طريق الهجرتين»: (٦٢).

(٢) «س»: هذا يشمل.

أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[١] [سورة يونس، الآية: ٢٦].

وفي رواية لابن ماجه وغيره، في هذا الحديث «فوالله ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إليه»[٢].

وخرَّج عثمانُ[٣] الدارمي، من حديث ابن[٤] عمر، مرفوعاً «إنَّ أهل الجنة إذا بلغ بهم النعيم كل مبلغ فظنّوا أنه لا نعيم أفضل منه، تجلَّى الربُّ / تبارك وتعالى عليهم فينظرون [٣٠/ب] إلى وجه الرحمن. فنسوا كلَّ نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن»[٥].

---

(١) مسلم في «الصحيح»: رقم (١٨١)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٣٣٢)، والدارقطني في «الرؤية»: رقم (١٥٤).

(٢) ابن ماجه في «السنن»: رقم (١٧٥)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٣٣٣)، والنسائي في «السنن الكبرى»: رقم (١١٢٣٤)، والدارقطني في «الرؤية»: رقم (١٥٥)، وابن مَنده في «الإيمان»: رقم (٧٨٣، ٧٨٦).

(٣) «س»: وأخرج.

(٤) «س»: ابن. ساقطة.

(٥) الدارمي في «الرد على المريسي»: (١٦١)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: رقم (٣٣٤).

و(١) خرَّجه الدارقطني بنقصان منه وزيادة، و(١) فيه: فيقول: «يا أهل الجنة هلّلوني وكبروني وسبحوني، كما كنتم تُهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا. فيتجاوبون بتهليل الرحمن. فيقول الله تبارك وتعالى لـداود عليه السلام: يا داود مجّدني. فيقوم داود فيمجّد ربَّه عز وجل»(٢).

وفي «سُنن ابن ماجه»، عن جابر(٣)، مرفوعاً: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ، فإذا الربُّ جل جلاله قد أشرف عليهم. فقال: السلامُ عليكم يا أهل الجنة. وهو قولُه تعالى ﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾ [سورة يس، الآية: ٥٨] فلا يلتفتون إلى شيءٍ مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه»(٤).

---

(١) الأصل: و. ساقطة.

(٢) الدارقطني في «الرؤية»: رقم (١٧٦).

(٣) عن جابر. ليست في «س».

(٤) ابن ماجه في «السنن»: رقم (١٧٢)، وأخرجه الدارقطني في «الرؤية»: رقم (٥١)، والبزار في «المسند»: رقم (٢٢٥٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: رقم (٩٧)، وأبو نُعيم في «الحلية»: (٦/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم، والآجري في «الرؤية»، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٩٨): رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف.

وخرَّج البيهقيُّ، من حديث جابر، مرفوعاً «إنَّ أهل الجنة يزورون ربَّهم تعالى على نجائب من ياقوت أحمر أزمتها من زمُرد أخضر، فيأمر الله بكُثبان من مسك أذفر أبيض فتُثير عليها ريحاً يقال لها المُثيرة، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبةُ الجنة. فتقول الملائكةُ: ربنا جاء القوم. فيقول: مرحباً بالصادقين مرحباً بالطائعين. قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه ويتمتَّعون بنوره حتى لا يُبصر بعضُهم بعضاً / ثم [٣١/أ] يقول: ارجعوا إلى القُصور بالتحف. فيرجعون وقد أبصر بعضُهم بعضاً، فذلك قولُه تعالى ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾[١] [سورة فصلت، الآية: ٣٢].

وفي «مسند البزار»، من حديث حذيفة مرفوعاً، في حديث يوم المزيد «أنَّ الله يكشف تلك الحُجب ويتجلَّى لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أنَّ الله تعالى قضى أنْ لا يحترقوا لاحترقوا؛ مما غشيهم من نوره. فيرجعون إلى منازلهم

---

(١) البيهقي في «البعث والنشور»: رقم (٤٤٨)، وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٦/٢٠٨).

(١)وقد خَفوا على أزواجهم مما غشيهم من نوره، فإذا صاروا إلى منازلهم(١) تراد النورُ وأمكن وتراد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صُورهم التي كانوا عليها»(٢).

ويُروى من حديث أنس، مرفوعاً «إنَّ الله يقول لأهل الجنة إذا استزارهم وتجلَّى لهم: سلامٌ عليكم يا عبادي. انظروا إليَّ فقد رضيتُ عنكم. فيقولون: سبحانك سبحانك. فتتصدَّع له مدائن الجنة وقصورها ويتجاوب فصولُ شجرها(٣) وأنهارها وجميع ما فيها: سبحانك سبحانك. فاحتقروا الجنَّة وجميعَ ما فيها، حين نظروا إلى وجه الله تعالى»(٤).

---

(١) ما بينهما ساقط من «س».

(٢) البزار في «المسند»: رقم (٣٥١٨)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: رقم (٣٣٠)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٤٢٢): رواه البزار، وفيه القاسم بن مطيب، وهو متروك.

(٣) «س»: فيناجونه فيقول.

(٤) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في «المصنف»: (٣/ ٢٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٢/ ١٥٠)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: رقم (٩٠)، وأبو نُعيم في «صفة الجنة»: رقم (٣٩٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»: رقم (٤٦٠)، والبزار في «المسند»: رقم (٣٥١٩)، والدارقطني في «الرؤية»: رقم =

ويُروى من حديث علي، مرفوعاً: «إنَّ الله يتجلَّى لأهل الجنة عن وجهه، فكأنَّهم لم يروا نعمةً قبل ذلك، وهو قولُه ﴿ولدينا مَزيد﴾ [سورة ق، الآية: ٣٥].

ويُروى من حديث أبي جعفر مُرسلاً: «إنَّ أهل الجنة إذا زاروا ربَّهم تعالى / وكشف لهم عن وجهه، قالوا: ربنا أنت [٣١/ب] السلام ومنك السلام وبك حق الجلال والإكرام. فيقول تعالى: مرحباً بعبادي الذين حفظوا وصيَّتي وراَعوا عهدي وخافوني بالغيب، وكانوا مني على كل حال مُشفقين. فقالوا: وعزَّتك وعظمتك وجلالك ما قدرناك حقَّ قدرك، وما أدَّينا إليك كلَّ حقك؛ فأذن لنا بالسجود لك. فيقول لهم عز وجل: إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة، وأرحت لكم أبدانكم. فطالما أنصبتم لي الأبدان، وأعنيتم الوجوه. فالآن أفضيتم إلى رَوحي ورحمتي وكرامتي، فسلوني ما شئتم وتمنَّوا علي أُعطكم أمانيكم؛ فإني لم أجزكم اليوم بقدر أعمالكم،

= (٥٩ ـ ٦٠)، والآجري في «الشريعة»: (٢٦٥) في سياق طويل، بأسانيد جيدة، كما قال المنذري في «الترغيب»: (٤/ ٥٥٥)، والسيوطي في «الدر المنثور»: (٧/ ٦٠٥).

ولكن بقدر رحمتي وكرامتي. فما يزالون في الأماني والعطايا والمواهب، حتى إنَّ المقصّر منهم في أُمنيته ليتمنَّى مثلَ جميع الدنيا منذ خلقها الله إلى أنْ أفناها. فيقول لهم الربُّ تبارك وتعالى: لقد قصَّرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم، فقد أوجبتُ لكم ما سألتم وتمنيتم، وألحقتُ بكم ذريتكم وزِدتكم ما قصَّرت عنه أمانيكم»[١].

قال عبد الرحمن بنُ أبي ليلى: إذا تجلَّى لهم ربُّهم لا يكون ما أُعطو عند ذلك بشيء[٢].

قال الحسن: إذا تجلَّى لأهل الجنة نسوا كلَّ نعيم الجنة.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: رقم (٥٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنة»: رقم (٤١١)، قال ابن كثير في «النهاية»: (٢/ ٥٢٠)، وهذا مرسل ضعيف غريب، وأحسن أحواله أن يكون من كلام بعض السلف فوهم بعضُ رواته فجعله مرفوعاً وليس كذلك.

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير»: (١١/ ٧٤)، وابن المبارك في «الزهد»: رقم (٢٨٢)، والدارقطني في «الرؤية»: رقم (٢١١)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: رقم (٩٥، ٣٣٢، ٣٣٣).

وكان يقول: لو علم العابدون أنَّهم لا يرون / ربَّهم في الآخرة لماتوا[١]. [٣٢/أ]

وقال: إنَّ أحباء الله هم الذين ورثوا[٢] طيبَ الحياة وذاقوا نعيمَها بما وصلوا إليه من مُناجاة حبيبهم، وبما وجدوا[٣] من حلاوة حُبّه في قلوبهم. لا سيما إذا خطر على بالهم ذكرُ مشافهته وكشف ستور الحُجب عنه في المقام الأمين والسرور، وأراهم جلالَه وأسمعهم لذَّة كلامه وردِ[٤] جواب ما ناجوه به أيام حياتهم.

(٥أملي أن أراك يوماً من الدهر
فأشكو لك الهوى والغليلا
وأُناجيك من قرب وأبدي
هذا الجوى وهذا النحولا٥)

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «السنة»: رقم (٤٨٦)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: رقم (٨٦٩)، والآجري في «الشريعة»: (٢٥٣).

(٢) «س»: أورثوا.

(٣) «س»: وجدوه.

(٤) «س»: ورد عليهم.

(٥) ما بينهما زيادة من «س».

قال وهب: لو خُيِّرت بين الرؤية والجنة لاخترتُ الرؤية[١].

رُؤي بشر في المنام، فسُئل عن حاله وحال إخوانه، فقال: تركتُ فلاناً وفلاناً ما بين يدي الله يأكلان ويشربان ويتنعَّمان. قيل له: فأنت. قال: علم قلَّة رغبتي في الطعام وأباحني النظر إليه.

[٢]يا حبيب القلوب ما لي سواك
ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا
أنت سُؤلي ومنيتي وسُروري
طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سُؤلي من الجنان نعيم
غير أنِّي أريدها لأراكا[٣]

قال ذُو النون: ما طابت الدنيا إلاَّ بذكره، ولا طابت

(١) أخرجه ابن منده، كما في «نسيم الأنس»: (٨٢).

(٢) من هنا زيادة من «س».

(٣) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (١٠/ ١٤٥) من كلام عباس المجنون. ونقله المؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (٨٥).

الآخرة إلَّا بعفوه، ولا طابت الجنة إلَّا برؤيته[١]. ولو أنَّ الله احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهلُ الجنة من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار.

كان بعضُ الصالحين يقول: ليت ربِّي جعل ثوابي من عملي نظرةً إليه، ثم يقول: كُن تُرابا[٢].

كان علي بن الموفَّق يقول: اللهم إنْ كُنت تعلم أنّي أعبدك خوفاً مِن نارك فعذِّبني بها، وإنْ كنت تعلم أنّي أعبدك حُباً لجنتك فاحرمنيها، وإنْ كنت تعلم أنما عبدتك حبّاً مني لك وشوقاً إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بي ما شئت[٣].

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٩/ ٣٧٢).

(٢) نقله المؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (٨٥) وهيهات له أن يدخل الجنة بعمله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: : «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحد الجنة عمله» أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٦٤٦٤، ٦٤٦٧)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٨١٨)، وأحمد في «المسند»: (٦/ ١٢٥، ٢٧٣) عن عائشة.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب»: رقم (٤٢٧)، وابن أبي يعلى في «الطبقات»: (١/ ٢٣١). ونقله المؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (٨٤)، وهذه من شطحات الصوفية الخرقاء البلها الساقطة؛ قال الله تعالى في حق أنبيائه =

سمع بعضُهم قائلاً يقول:

كبُرت همة عبد طمعت في أنْ تراكا

أو ما حسبت أنْ ترى من رأكا.

ثم شهق شهقة فمات.

لما غلب الشوقُ على قلوب المُحبِّين استروحوا إلى مثل هذه الكلمات، وما تخفي صدورُهم أكبر(١)!

تجاسرتُ فكاشفتك لما غلب الصبر

فإنْ عنفني الناسُ ففي وجهك لي عذر

أبصارُ المُحبين قد غضت من الدنيا والآخرة، فلم تفتح إلاَّ عند مشاهدة محبوبهم يوم المزيد.

أروح وقد ختمتَ على فؤادي

بحبك أنْ يحل به سواكا

= وأصفيائه وخيار خلقه: ﴿إنهم كانوا يُسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٩٠].

(١) قال ابن تيمية في «الاستقامة»: (٢/ ١٠٤ ـ ١٠٦): ومقصودهم بذلك: طلب ما هو أعلى من الأكل والشرب والتمتع بالمخلوق، لكن أخطأوا من جهة أنهم جعلوا ذلك خارجاً عن الجنة، ولزم من ذلك أمور منكرة. وينظر: ابن القيم «مدارج السالكين»: (٢/ ٧٦).

فلو أني استطعت غضضت طرفي
فلم أنظر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي
وإنْ لم يُبق حبك لي حراكا
وفي الأحباب مخصوصٌ بوجد
وآخر يدعي معي اشتراكا
إذا استكبت دموعي في خدودي
تبيَّن من بكى ممن تباكا
فأما من بكى فيذوب وجداً
وينطق بالهوى من قد تشاكا[١]

كان سُمنون[٢] المُحب يُنشد:

وكان فؤادي خالياً قبل حُبّكم
وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلمَّا دعا قلبي هواك أجابه
فلستُ أراه عن فنائك يبرح

(١) نقله المؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (١٤٢).

(٢) ينظر ترجمته: أبو نعليم «الحلية»: (١٠/ ٣٠٩).

رُميت ببعد [عنك][١] إنْ كنتُ كاذبا
وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإنْ كان شيءٌ بالبلاد بأسرها
إذا غبت عن عيني لعيني يملح
فإنْ شئتَ واصلني وإنْ شئت لاتصل
فلستُ أرى قلبي لغيرك يصلحُ. [٢]

وأمّا الشوقُ إلى لقاء الله: فهو أجل[٣] مقامات العارفين في الدنيا؛ وقد رُوي عن النبي ﷺ أنّه كان يدعو «اللهم اجعل حبّك أحبَّ الأشياء إلي وخشيتَك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك. وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك»[٤].

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) إلى هنا تنتهي الزيادة من «س».

(٣) الأصل: أجل. ساقطة.

(٤) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٨/ ٢٨٢) عن الهيثم بن مالك الطائي مرسلاً، وابن أبي الدنيا، كما في «اختيار الأَوْلى»: (١٢٥)، وفيه أبو بكر بن أبي مريم.

وإنَّما قال: «من غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلَّة» لأنَّ الشوق إلى لقاء الله يستلزم محبة الموت، والموتُ يقع تمنيه كثيراً من أهل الدنيا؛ بوقوع الضرَّاء المُضرة في الدنيا وإنْ كان / منهياً عنه في الشرع[1]. [٣٢/ ب]

ويقع من أهل الدين تمنيه[2]؛ لخشية الوقوع في الفتن المُضلَّة[3].

فسأل تمنّي الموت خالياً من هذين[4] الحالين، وأنْ يكون ناشئاً عن محض محبَّة الله والشوق إلى لقائه؛ وقد حصل هذا المقامُ لكثيرٍ من السلف. قال أبو الدرداء: أُحب الموتَ

(١) لحديث أنس، أن النبي ﷺ قال: «لا يتمنينَّ أحدُكم الموت لضر نزل به» أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٥٦٧١، ٦٣٥١)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٦٨٠)، وأحمد في «المسند»: (٣/ ١٠١، ١٦٣، ١٩٥، ٢٨١).

(٢) «س»: كتمنيه.

(٣) كما في حديث مُعاذ: «وإذا أردت بقوم فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون»، أخرجه الترمذيُّ في «الجامع»: رقم (٣٢٣٣)، وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المسند»: (٥/ ٢٤٣، ٣٧٨) وسبق.

(٤) «س»: هذه.

اشتياقاً إلى ربي(١). وقال أبو عُتبة الخولاني: كان إخوانكم لقاء الله أحب إليهم من الشَّهد(٢).

وقالت رابعةُ: طالت علي الأيامُ والليالي بالشوق إلى لقاء الله(٢).

ومكث فتح بن شخروف(٣) ثلاثين سنة لم يرفع رأسَه إلى السماء، ثم رفع رأسه فقال: طال شوقي إليك فعجِّل قدومي عليك(٢). و(٤) كان بعضُهم يقول في مناجاته: قبيحٌ بعبد ذليل مثلي يعلم عظيماً مثلك. اللهم أنت تعلم أنك لو خيَّرتني أنْ تكون لي الدنيا منذ خُلقت أتنعم فيها حلالاً لا أُسأل عنها يوم القيامة، وبين أن تخرج روحي الساعة [لاخترت أنْ تخرج نفسي الساعة](٥).

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات»: (٧/ ٣٩٢)، وأبو نُعيم في «الحلية»: (١/ ٢١٧).

(٢) نقله المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٤٥)، و«استنشاق نسيم الأنس»: (٩٥).

(٣) ينظر: ابن الجوزي «صفة الصفوة»: (٢/ ٤٠٢).

(٤) من هنا زيادة من «س».

(٥) نقله المؤلف في «استنشاق نسيم الأنس»: (٩٦)، عن أبي عبد الله النباحي والاستدراك منه.

قال بعض السلف: إذا ذكرتُ القدومَ على الله كُنت أشد اشتياقاً إلى الموت من الضمآن الشديد ضمؤه، في اليوم الحار الشديد حرُّه إلى الشراب الشديد بردُه[١].

اشـتاق إليك يـا قريب نـائي
شوق الضامي إلى زُلال المائي[٢]

قال الجُنيد: سمعتُ سرياً يقول: الشوقُ أجل مقام[٣] العارف إذا تحقق [٤]فيه، وإذا تحقق[٤] بالشوق لهى عن كل ما يشغله عمَّن يشتاق إليه.

رُؤي داود الطائي في المنام على منبر عال، وهو ينشد:

مـا نـال عـبدٌ من الرحـمـن مـنزلة
أعلى من الشوق إنَّ الشوق محمود[٥]

---

(١) نقله المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٤٥)، و«اختيار الأَوْلى»: (٩٦).

(٢) إلى هنا تنتهي الزيادة من «س».

(٣) «س»: مقامات.

(٤) ما بينهما ساقطٌ من «س».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٧/ ٣٦٠).

[(١)]لازال المُحبُّون يروضون أرواحهم في الدنيا حتى خرجت عن أبدان الهوى وصارت في حواصل طير الشوق، فهي تسرح في رياض الأُنس وترد حياضَ القُدس، ثم تأوي إلى قناديل المعرفة المُعلقةِ في المحل الأعلى حول العرش؛ كما[(٢)] قال بعضُ العارفين: القلوب جوَّالة. فقلبٌ يدور حول العرش وقلبٌ يجول[(٣)] حول الحُش. كلَّما[(٤)] حلَّت نسماتُ القُدس من أرجاء الأُنس على أغصان قلوب الأحباب، تمايلت شوقاً إلى ذلك الجَناب.

كان بعضُ السلف يمشي أبداً على قدميه[(٥)] من الشوق، وكان بعضُهم كأنه مخمورٌ من غير شراب:

تريحني إليك الشوقُ حتى
أميل من اليمين إلى الشمال

---

(١) من هنا زيادة من «س».

(٢) إلى هنا تنتهي الزيادة من «س».

(٣) «س»: يجول. ساقطة.

(٤) من هنا زيادة من «س».

(٥) «س»: قدماه. تحريف.

ويأخذني لذكركم رياح
كما نشط الأسير من العقال

أهل الشوق على طبقتين. أحدهما: من أقلقه الشوقُ ففني اصطبارُه؛ كان أبو عُبيدة الخوَّاص يمشي ويضرب على صدره، ويقول: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه[١].

كان داود الطائي يقول بالليل: همُّك عطَّل علي الهموم وخالف بيني وبين السهاء، وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني اللذات وخالف بيني وبين الشهوات. فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب[٢].

أحبابي أما جِفن عيني فمقروح
وأمَّا فؤادي فهو بالشوق مجروح
يذكرني مرُّ النسيم عهودكم
فأزداد شوقاً كلَّما هبت الريحُ
أراني إذا ما أظلم الليلُ أشرقت
بقلبي من نارِ الغرام مصابيح

(١) نقله المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٤٥).

(٢) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية»: (٧/ ٣٥٧).

أصلي بذكراكم إذا كُنت خالياً

ألا إنَّ تذكار الأحبَّة تسبيح[١]

الطبقةُ الثانية: من إذا أقلقهم الشوقُ سكَّنهم الأُنس بالله، فاطمأنت قلوبُهم بذكره وأنسوا بقُربه.

وهذه حالُ الرسول ﷺ وخواص العارفين من أُمته[٢]. و[٣] سُئل الشِّبلي: بماذا تستريح قلوبُ المحبّين والمشتاقين، فقال: بسرورهم بمن أحبُّوه واشتاقوا إليه.

أموت إذا ذكرتُك ثم أحيا

ولولا ما أؤمل ما حييتُ

فأحيا بالمُنى وأموت شوقاً

فكم أحيا عليك وكم أموت

كانت بعضُ الصالحات تقول: أليس عجباً أنْ أكون حية بين أظهركم، وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ.

---

(١) إلى هنا تنتهي الزيادة من «س». والأبيات ذكرها المؤلف في «شرح حديث عمار»: (٤٧)، و«استنشاق نسيم الأنس»: (٢٥).

(٢) من أمته. ليست في «س».

(٣) من هنا زيادة من «س».

أموت اشتياقاً ثم أحيا بذكركم
وبين التراقي والضلوع لهيب
فلا عجبا موت المشوق صبابة
ولكن بقاه في الحياة عجيب

هذه أحوالٌ لا يعرفها إلاَّ من ذاقها.

لا يعرف الوجدَ إلاَّ من يُكابده
ولا الصبابة إلاَّ من يُعانيها[1]

فأمَّا من ليس عنده منها خبر فربما لام أهلَها.

يا عاذل المُشتاق دعه فإنَّه
لديه من الزفرات غير حشاكا
لو كان قلبك قلبه ما لمته
حاشاك مما عنده حاشاكا[2]

قولُه ﷺ: «أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أُظلم / أو أعتدي [٣٣/أ] أو يُعتدى علي، أو أكتسب خطيئة مُحيطة أو ذنباً لا تغفره».

---

(١) أصله: لا يعرف الشوق. وهو من كلام الأبله البغدادي.

(٢) إلى هنا تنتهي الزيادة من «س».

استعاذ من أربعة أشياء. أحدُهما: الظلم من الطرفين، وهو أنْ يظلم غيره أو يظلمه غيره.

وخرَّج أبو داود، من حديث أم سلمة، قالت: ما خرج رسولُ الله ﷺ مِن بيتي قط إلاَّ رفع طرْفه إلى السماء، فقال: «اللهم إنِّي أعوذ بك أن أضلَّ أو أُضِل أو أزل أو أُزِل أو أُظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي»[١].

وخرَّجه الترمذي وصححه، ولفظُه: «اللهم إنَّا نعوذُ بك أن نزل أو نضل أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يجهل علينا»[٢].

فمن سلم من ظُلم غيره، وسلم الناسُ من ظلمه: فقد عُوفي وعوفي الناسُ منه. وكان بعضُ السلف يدعو: اللهم سلّمني وسلِّم مني.

والثاني: العُدوان. وفرّق اللهُ بين الظلم والعُدوان، في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أنْ تكون تجارةً عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم

(١) أبو داود في «السنن»: رقم (٥٠٩٤)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٦/ ٣٢٢)، قال النووي في «الأذكار»: (١٨): حديثٌ صحيح.

(٢) الترمذي في «الجامع»: رقم (٣٤٢٣)، وأحمد في «المسند»: (٦/ ٣٠٦).

رحيماً • ومن يفعل ذلك عُدواناً وظُلماً فسوق نُصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ [سورة النساء، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠].

وقد يُفرَّق بين الظلم والعُدوان، بأنَّ الظلم: ما كان بغير حق بالكلية، كأخذ مالٍ بغير استحقاق لشيءٍ[١] منه، وقتل نفس[٢] لا يحل قتلها. وأمَّا العُدوان: فهو مُجاوزة الحدود وتعديها فيما أصلُه مباح / ، مثل أنْ يكون له على[٣] أحدٍ حقٌّ [٣٣/ب] من مال أو دم أو عرض، فيستوفي أكثر منه. فهذا هو العُدوان، وهو تجاوز ما يجوز أخذه. فيأخذ ما لَه أخذه[٤] وما ليس له أخذه، وهو من أنواع الربا المحرَّمة.

وقد ورد «السبتان بالسبة ربا»[٥].

والظلم المُطلق: أخذُ ما ليس له أخذه، ولا[٦] شيءٍ منه من مال أو دم أو عرض.

---

(١) «س»: شيء.

(٢) «س»: النفس.

(٣) «س»: عند.

(٤) «س»: إلى.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٦) الأصل: وأخذ شيء. ولعل المثبت هو الصواب. .

كلاهما في الحقيقة ظلم، وقد حرَّم الله الظلم؛ وفي الصحيح عن النبي ﷺ «يقول الله: يا عبادي إنِّي حرمت الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[١].

وفي «الصحيحين» عنه[٢] ﷺ قال: «الظمُ ظلمات يوم القيامة»[٣].

وفيهما عنه ﷺ، قال: «إنَّ الله يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته» ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمةٌ إنَّ أخذه أليمٌ شديد﴾[٤][سورة هود، الآية: ١٠٢].

وفي البخاري، عنه ﷺ، قال: «مَن كانت عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلله منها، فإنَّه ليس ثم دينارٌ ولا درهم من قبل أنْ يُؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أُخذ من

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٧٧)، وأحمد في «المسند»: (٥/ ١٥٤، ١٦٠، ١٧٧)، من حديث أبي ذر.

(٢) الأصل: عنه عن النبي. ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) البخاري في «الصحيح»: رقم (٢٤٤٧)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٧٩) عن ابن عمر.

(٤) البخاري في «الصحيح»: رقم (٤٦٨٦)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

سيئات أخيه فطُرحت عليه»[١].

وفي «صحيح مسلم»، عنه ﷺ، قال: «أتدرون من المفلس». قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع. قال: «إنَّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وقيام وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقتضي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناتُه قبل أنْ يُقضى / ما عليه أُخذ من سيئاتهم فطرحت [٣٤/أ] عليه ثم طُرح في النار»[٢].

وفي الحديث: «لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجمَّاء من الشاة القَرناء»[٣].

---

(١) البخاري في «الصحيح»: رقم (٢٤٤٩، ٦٥٣٤)، وأخرجه أحمد: (٢/ ٤٣٥، ٥٠٦) عن أبي هريرة.

(٢) مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٨١)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧١) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٨٢)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٣٢٣، ٣٧٢، ٤١١) عن أبي هريرة.

وفي حديث عبد الله بن أُنيس: «وليسألن الحجر لم نكب الحجر، وليسألن العُود لم خدش صاحبه»[١].

شعر[٢]:

فخِف القضاء غداً إذا وافيت ما
كسبت يداك اليوم بالقِسطاس
أعضاؤهم فيه الشهودُ وسجنهم
نارٌ وحاكمهم شديد الباس
في موقف ما فيه إلاّ شاخص
أو مهطع أو مقنع للرأس
إنْ تمطل اليوم الحقوقَ مع الغنى
فغداً تؤديها مع الإفلاس

والظلمُ المحرَّم: تارة يكون[٣] في النفوس، وأشده في الدماء. وتارة في الأموال، وتارة في الأعراض؛ ولهذا قال ﷺ

(١) أصله عند أحمد في «المسند»: (٣/ ٤٩)، والطبراني في «الأوسط»: رقم (٨٥٨٨).

(٢) «س»: شعر. ساقطة.

(٣) «س»: يكون تارة.

في خُطبته في حجة الوداع: «إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[١]. وفي رواية: ثم[٢] قال: «ألا اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظالموا ألا لا تظالموا؛ فإنَّه لا يحل مال امرىء مسلم إلَّا عن طيب نفسٍ منه»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ، قال: «كل المسلم على المسلم حرام دمُه وماله وعِرضه»[٤].

فظلمُ العباد شرٌّ مكتسب؛ لأنَّ الحق فيه لآدمي مطبوع على الشُّح، فلا يترك من حقه شيئاً لاسيما مع شدة حاجته يوم القيامة. فإنَّ الأم تفرحُ يومئذ إذا كان لها حقٌّ على ولدها لتأخذه منه.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٦٧)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (١٦٧٩)، وأحمد في «المسند»: (٥/ ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٤٩)، عن أبي بكرة.

(٢) «س»: ثم. ساقطة.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٥/ ٧٢)، عن عم أبي حرة الرقاشي.

(٤) مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٥٦٤)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٢٧٧، ٣٦٠)، من حديث أبي هريرة.

[٣٤/ب] ومع هذا: فالغالبُ أنَّ الظالم / تُعجَّل له العقوبة في الدنيا وإنْ أُمهل؛ كما قال ﷺ: «إنَّ الله يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم تلا ﴿وكذلك أَخذ ربك إذا أخذ القُرى وهي ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد﴾[١] [سورة هود، الآية: ١٠٢].

كان[٢] بعضُ أكابر[٣] التابعين قال[٤] لرجل: يا مُفلس. فابتُلي القائل بالدَّين والحبس، بعد أربعين سنة.

[٥]وضَرب رجلٌ أباه وسحبه إلى مكان، فقال الذي رآه: إلى[٦] هاهنا! رأيتُ هذا[٧] المضروب قد ضَرب أباه، وسحبه إليه!!

وصادر بعضُ وزراء[٨] الخلفاء رجلاً، فأخذ منه ثلاثة آلاف دينار. فبعد مدة غضب الخليفة[٩] على الوزير، وطلب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «س»: قال.

(٣) «س»: أكابر. ساقطة.

(٤) «س»: قال. ساقطة.

(٥) الأصل: و. ساقطة.

(٦) «س»: إلى. ساقطة.

(٧) «س»: هذا. ساقطة.

(٨) وزراء. معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٩) الأصل: الخليفة. ساقطة.

منه عشرة آلاف دينار. فجزع أهلُه من ذلك، فقال: ما يأخذ مني أكثر من ثلاثة آلاف[١] كما كنتُ ظلمت. فلما أدَّى ثلاثة آلاف دينار وقَّع الخليفةُ بالإفراج عنه. فسبحان مَن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت، إنَّ ربك لبالمرصاد[٢].

حاكمُ العدل لا يجور، وإنَّما يُجازي بالعدل. وميزانُ عدله لا يُحابي أحداً، بل يتحِرَّر فيه مثاقيلُ الذر [٣]ومثاقيل الخردل وكما تدين تدان. شعر[٣]

فجانب الظلمَ لا تسلُك مسالكه
عواقبُ الظلم تُخشى وهي تنتظر
وكل نفس ستُجزى بالذي عملت
وليس للخلق من ديانهم وطر[٤]

---

(١) «س»: ألاف دينار.

(٢) قال تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [سورة الفجر، الآية: ١٤].

(٣) ما بينهما ساقطٌ من «س».

(٤) «س»: دنياهم وزر.

الثالث: مما استعاذ منه: وهو[١] اكتساب الخطيئة[٢]؛ قال الله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئتُه فأولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨١].

وفسِّرت[٣] إحاطة الخطيئة بالموت على الشرك، [٣٥/أ] وفسرت[٣] / بالموت على الذنوب الموجبة للنار من غير توبة منها.

فكأنَّ[٤] ذنوبه أحاطت به من جميع جهاته، فلم يبق له مخلصٌ منها. فالخطايا تُحيط بصاحبها حتى تُهلكه؛ وقد ضرب النبيُّ ﷺ: مثل الخطايا التي[٥] يتلبَّس بها العبد بمثل درع ضيقة يلبسها، فتضيق عليه حتى تخنقه، ولا تنفك عنه إلاَّ بعمل الحسنات من توبة أو غيرها من الأعمال الصالحة؛

---

(١) «س»: وهي.

(٢) «س»: الخطيئة المخطئة.

(٣) «س»: وفسر.

(٤) «س»: وكأن.

(٥) «س»: التي. ساقطة.

ففي «المسند»، عن عُقبة بن عامر، عن النبي ﷺ، قال: «إنَّ مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة ثم خنقته، ثم عمل حسنة فانفكت حلقةٌ ثم عمل حسنة أخرى فانفكت حلقة أخرى حتى يخرج إلى الأرض»(١).

فلا يُخلِّص العبد من ضيق الذنوب عليه وإحاطتها به، إلَّا بالتوبة والعمل الصالح. كان بعضُ السلف يُردد هذين البيتين بالليل، ويبكي بكاءً شديداً. شعر(٢).

ابك لذنبك طول الليل مجتهداً
أنَّ البكاء معول الأحزان
لا تنس ذنبك في النهار وطوله
إن الذنوب تحيط بالإنسان

---

(١) أحمد في «المسند»: (٤/ ١٤٥)، وأخرجه الطبراني في «الكبير»: (١٩/ ٢٨٤)، وابن أبي الدنيا في «التوبة»: رقم (١٣٧)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٢٠٢): رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي الطبراني رجالُه رجال الصحيح.

(٢) «س»: شعر. ساقطة.

الرابع: مما استعاذ منه: الذنب الذي لا يُغفر. [(١)]ويدخل فيه شيئان. أحدُهما: الشرك؛ قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله لا يغفر أنْ يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [سورة النساء، الآيتان: ٤٨، ١١٦].

و[(١)] الثاني: أنْ يعمل العبدُ ذنباً لا يُوفَّق لسبب يمحوه عنه، بل يلقى الله به من غير[(٢)] سبب ماح له، فلا يغفر له بل يُعاقب عليه. فإنَّ الله إذا أحب عبداً أوقعه في ذنبٍ / له[(٣)]، ووفقه[(٤)] لأسباب يمحوه عنه: إمَّا بالتوبة النصوح[(٥)]؛ وفي «سُنن ابن ماجه» عن ابن مسعود مرفوعاً: «التائبُ من الذنب كمن لا ذنب له»[(٦)]. [٣٥/ب]

---

(١) «س»: و. ساقطة.
(٢) «س»: بغير.
(٣) «س»: له. ساقطة.
(٤) الأصل: ووفقه. ساقطة.
(٥) في «س» بزيادة: وإما بحسنات ماحية.
(٦) ابن ماجه في «السنن»: رقم (٤٣٠٤)، وأخرجه الطبراني في «الكبير»: رقم (١٠٢٨١)، وأبو نُعيم في «الحلية»: (٤/ ٢١٠)، والقضاعي في «المسند»: رقم (١٠٨) بإسناد حسن، كما في «المقاصد الحسنة»: (١٥٢)، وله شاهدٌ من حديث ابن عباس، أخرجه البيهقي في «السنن»: (١٠/ ١٥٤)، و«الشعب»: رقم (٦٧٨٠).

وإمَّا بحسنات ماحية(١) ﴿إِنَّ الحسنات يُذهبن السيئات﴾ [سورة هود، الآية: ١١٤]، وإمَّا أنْ يُبتلى بمصائب مكفِّرة؛ فمن يُرد الله به خيراً يُصب منه(٢). ولا يزال البلاءُ بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة(٣).

وإمَّا أنْ يُغفر له(٤) بشفاعة بإذن الله لمن يأذن فيها، أو أنَّه يغفره لمجرَّد(٥) فضله ورحمته من غير سببٍ آخر، فحينئذ يكون هذا الذنب مغفوراً.

قال بعضُهم: إذا أحبَّ اللهُ عبداً لم يضره ذنب. ومرادُه: أنه يمحوه عنه، وربما يجعل الذنب في حقه سبباً لشدة

---

(١) «س»: وإما بحسنات ماحية. ساقط.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٥٦٤٥)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ٢٣٧) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (٢٣٩٩)، وقال: حسنٌ صحيح. وأحمد في «المسند»: (٢/ ٢٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣/ ٢٣١)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٣٤٦)، وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٤) «س»: له. ساقطة.

(٥) «س»: وإما أن أن يغفره بمجرد.

خوفه[1] من ربِّه وذله وانكساره له[2]، فيكون سبباً لرفع درجة ذلك العبد عنده.

وإذا خذل عبداً وقضى عليه بذنبٍ لم يوفِّقه لشيء من ذلك، فلقي الله بذنبه من غير سببٍ يمحوه عنه في الدنيا، ثم يؤاخذه به[3] في الآخرة فلا يغفر له[2]. فهذا هو الذنب المُستعاذ منه هاهنا.

وحاصلُ الأمر: أنَّ مَن عامله الله في ذنوبه بالعدل هلك، ومن عامله بالفضل نجا؛ كما قال يحيى بن مُعاذ: إذا وضع عدله على عبده[4] لم يبق له حسنة، وإذا بسط فضله على عبده لم يبق له سيئة.

[5]يا ويلنا من موقف ما به
أخوف من أنْ يعدل الحاكم
يا رب عفوا منك عن مذنب
أسرف إلا أنَّه نادم[6]

(١) «س»: لخوفه.
(٢) «س»: عليه.
(٣) «س»: ولا يغفره.
(٤) «س»: عبد.
(٥) ما بينهما زيادةٌ من «س».

قولُه ﷺ: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام: فإنِّي أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأُشهدك وكفى بك شهيداً / ، أني أشهد أنْ لا إله إلا [٣٦/أ] أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمداً عبدك ورسولك وأشهد أنَّ وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور».

هذا الدعاءُ استفتحه بقوله: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال الإكرام.

وقد[١] قال الله تعالى: ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٦].

وفي «صحيح مسلم»، أنَّ النبي ﷺ كان يستفتح صلاة الليل بقوله: «اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين

(١) «س»: قد. ساقطة.

عبادك فيما كانوا فيه يختلفون: اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[١].

وفي «المسند» والترمذي، أنَّ النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام. قال له: «لقد استُجيب لك، فسل»[٢].

والمسئولُ في هذا الدعاء: أنَّ العبد يعهد إلى ربه في هذه الحياة الدنيا، ويُشهده وكفى به شهيداً أنَّه يشهد له بأصول الإيمان التي من وفَّى بها فقد نجا. وهي الشهادةُ لله بالوحدانية، وأتبعها[٣] بالشهادة له بالمُلك والحمد والقُدرة على كل شيء. والشهادة / لمحمد ﷺ بالعبودية والرسالة، [٣٦/ب] والشهادة لله بأنَّ وعده حق ولقاءه حق وأنَّ [٤] الجنة حق والنار

(١) مسلم في «الصحيح»: رقم (٧٧٠)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٦/ ٦١، ١٥٦) عن عائشة.

(٢) أحمد في «المسند»: (٥/ ٢٣٥)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٥٢٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٠/ ٢٦٩)، والبخاري في «الأدب»: رقم (٧٢٥)، والطبراني في «الكبير»: (٢٠/ ٥٥) عن معاذ.

(٣) «س»: واتباعها.

(٤) «س»: ان. ساقطة.

حق[١]، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور. وقد تضمَّنت هذه الشهادة أصولَ الإيمان الخمسة؛ فإنَّ من شهد لمحمد ﷺ بالرسالة: فقد شهد بما أمر محمد بالشهادة به، وهو أصول الإيمان الخمسة كلِّها. وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكُتبه، ورسله، واليوم الآخر.

وكان النبيُّ ﷺ يقول في استفتاحه صلاة الليل «أنت الحق ووعدك الحق، وقولك الحق ولقاؤك حق والجنةُ حقٌّ والنار حق والساعة حق، والنبيون حق ومحمد حق»[٢].

[٣]وقد أخبر الله تعالى عن هُود عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿إنِّي أُشهد الله واشهدوا أنِّي بريء مما تُشركون من دونه﴾[٤][سورة هود، الآية: ٥٤]. وقد وردت الأحاديث[٥] بفضل

(١) «س»: والنار حق. ساقطة.

(٢) قطعة من حديث طويل، أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٦، ٧٤٤٢، ٧٤٩٩)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٧٦٩)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٢٩٨، ٣٠٨) عن ابن عباس.

(٣) من هنا ساقطٌ من «س».

(٤) إلى هنا ينتهي الساقط من «س».

(٥) «س»: أحاديث.

من عهد إلى ربِّه في الدنيا هذا العهد، واستشهده على نفسه بمثل هذه الشهادة؛ ففي «سُنن أبي داود»، عن أنس مرفوعاً «مَن قال حين يُصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحتُ أُشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميعَ خلقك، أني أشهد أنْ لا إلٰه إلا أنت (١)وحدك لا شريك لك(١) وأنَّ محمداً عبدُك ورسولك. أعتق الله رُبعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار»(٢).

[٣٧/أ] وخرَّجه النسائي / والترمذيُّ بمعناه(٣).

---

(١) ما بينهما ساقطٌ من الأصل.

(٢) أبو داود في «السنن»: رقم (٥٠٦٩)، وابن أبي شيبة في «العرش»: رقم (٢٣)، والطبراني في «الدعاء»: رقم (٢٩٧).

(٣) النسائي في «عمل اليوم»: رقم (٩، ١٠)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٥٠١)، وأخرجه البخاري في الأدب، رقم (١٢٠١)، قال النووي في «الأذكار»: (٦٥): إسناده جيد.

ورُوي معناه[١]: من حديث سلمان[٢]، وعائشة[٣].

وفي «المُسند»، عن ابن مسعود، أنَّ النبي ﷺ قال: «من قال: اللهم فاطر السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أنْ لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك وأنَّ محمداً عبدك ورسولك، فإنَّك إنْ تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشر وتُباعدني من الخير، وإني لا أثق إلاَّ برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تُوفينيه يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد. إلاَّ قال اللهُ عز وجل للملائكة يوم القيامة: إنَّ عبدي قد عهد إلى عهداً فأوفوه إياه. فيدخلُه الله الجنة» قال القاسمُ بن عبد الرحمن: ما في أهلنا جارية إلا تقول هذه في خدرها[٤].

---

(١) «س»: وروي معناه. ساقط.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٦/ ٢٧٠)، و«الدعاء»: رقم (٢٩٩، ٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) وأخرجه الطبراني في «الدعاء»: رقم (٢٩٨) من حديث أبي سعيد الخُدري.

(٤) أحمد في «المسند»: (١/ ٤١٢).

قولُه ﷺ: «وأشهد أنَّك إنْ تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلاَّ برحمتك». هذا كما في حديث ابن مسعود المتقدم «فإنك إنْ تكلني إلى نفسي تقرِّبُني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلاَّ برحمتك». والمقصودُ من ذلك: سؤالُ العبد لربه أنْ يتولاَّه برحمته، وأنْ لا يكله إلى نفسه.

وفي «كتاب اليوم والليلة» للنسائي: عن أنس، أنَّ النبي ﷺ قال لفاطمة: «ما يمنعك أنْ تسمعي ما أوصيك به، أنْ تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه ولا تكلني إلى نفسي / طرفة عين»[1]. [٣٧/ب]

وخرَّجه الطبراني، وزاد فيه «ولا إلى أحد من الناس»[2].

---

(١) النسائي في «عمل اليوم والليلة»: رقم (٥٧٠)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٤٥)، وصححه وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (١١٢).

(٢) الطبراني في «الأوسط»: رقم (٣٥٨٩)، و«الصغير»: رقم (٤٤٤)، و«الدعاء»: رقم (١٠٤٦)، وفيه: أبو مدرك. متروك.

وخرَّج أبو داود، والنسائي: من حديث أبي بكرة، عن النبي ﷺ قال: «دعواتُ المكروب. اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه لا إلٰه إلاَّ أنت»[١].

وقال قتادة: ولما نزل[٢] قولُه تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٤] الآيات قال النبيُّ ﷺ: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[٣].

وفي «سُنن أبي داود»، عن عبد الله بن حوالة، قال: بعثنا رسولُ الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا ولم نغنم شيئاً وقد عرف الجَهْد في وجوهنا، فقال: «اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا

---

(١) أبو داود في «السنن»: رقم (٥٠٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم»: رقم (٦٥١)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٥/ ٤٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٠/ ١٩٦)، وابن حبان في «الصحيح»: رقم (٩٧٠)، والطبراني في «الدعاء»: رقم (١٠٣٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/ ١٣٧): رواه الطبراني، وإسنادُه حسن.

(٢) الأصل: نزلت.

(٣) أخرجه الطبري في «التفسير»: (١٥/ ١٣١).

تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم»[1].

فإذا وفَّق اللهُ عبداً: توكل بحفظه وكلائته، وهدايته وإرشاده، وتوفيقه وتسديده. وإذا أخذله[2]: وكله إلى نفسه أو إلى غيره؛ ولهذا كانت هذه الكلمة: حسبنا الله ونعم الوكيل. [3]كلمة عظيمة، وهي التي قالها إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ رسول الله ﷺ حين قال له الناس: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم[3]، فزادهم إيماناً وقالوا حسْبنا الله ونعم الوكيل[4]. / وقالتها عائشةُ حين ركبت [٣٨/أ] الناقة لمَّا انقطعت عن الجيش[5]، وهي كلمةُ المؤمنين.

فمن حقَّق التوكلَ على الله لم يكله إلى غيره، وتولاَّه بنفسه.

---

(١) أبو داود في «السنن»: رقم (٢٥٣٥)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٥/ ٢٨٨).

(٢) «س»: خذله.

(٣) ما بينهما مكرر في الأصل.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٤٥٦٣، ٤٥٦٤) عن ابن عباس، وانظر بقية التخريج في «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»: (٢/ ٥٩٤).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٤١٤١)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٧٧٠)، وأحمد في «المسند»: (٦/ ٥٩، ١٩٤).

وحقيقةُ التوكل: تكله الأمور كلِّها إلى من هي بيده. فمن توكَّل على الله في هدايته وحِراسته وتوفيقه وتأييده ونصره ورزقه، وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولَّى اللهُ مصالحه كلَّها؛ فإنه تعالى ولي[١] الذين آمنوا. وهذا هو حقيقةُ الوثوق برحمة الله؛ كما في هذا الدعاء «فإني لا أثق إلا برحمتك».

فمن وثق برحمة ربِّه ولم يثق بغير رحمته، فقد حقَّق التوكل على ربه في توفيقه وتسديده. فهو جدير بأن[٢] يتكفَّل الله بحفظه، ولا يكله إلاَّ[٣] إلى نفسه.

وفي هذا الحديث: وصفَ النفسَ بأوصاف ذميمة، كلُّ ذلك حذراً من[٤] أنْ يُوكل العبد إلى ما[٥] هذه صفاته، وهي أربعةُ أوصاف:

الضَّيعة، والعورة، والذَّنب، والخطيئة.

---

(١) «س»: هو ولي.

(٢) «س»: إن.

(٣) «س»: إلا. ساقطة.

(٤) «س»: من. ساقطة.

(٥) «س»: من.

فالضيعةُ: هي الضياع. فمن وكل إلى نفسه ضاع؛ لأن النفس ضيعة فإنَّها لا تدعو إلى الرُّشد، وإنَّما تدعو إلى الغي.

والعورة: هي[١] ما ينبغي ستُره لقبحه ودنائته، فكذلك[٢] النفس لقُبح أوصافها وسوء أخلاقها الذميمة.

والذنبُ والخطيئة: معناهما مُتقارب أو متحد، وقد يُراد بأحدهما الصغائر وبالآخر الكبائر[٣].

وقد وصف اللهُ تعالى النفسَ بأنَّها أمَّارة بالسوء، فقال: ﴿إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء إلاَّ ما رحم ربي﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٣]، فمن رحمه الله: عصمه من السوء الذي تأمر به النفس.

[٣٨/ب] وفي حديث / أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ علَّمه أنْ يقول في كلِّ صباح ومساء عند نومه:

---

(١) «س»: هي. ساقطة.

(٢) «س»: وكذلك.

(٣) قال الراغب في «المفردات»: (٢٨٧): الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسه.

«أعوذ بك من شر نفسي»[١].

وأمَّا من وكله إلى نفسه ولم يرحمه، فإنَّه يُجيب داعي نفسه الأمارة بالسوء، فيفعل كل سوء تأمر[٢] به نفسُه.

وفي «المسند»، والترمذي مرفوعاً «الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجزُ من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله»[٣].

فقسَّم الناسَ إلى قسمين: كيِّس، وعاجز. فالكيِّسُ: هو اللَّبيب الحازمُ العاقل، الذي ينظر في عواقب الأمور. فهذا يقهر نفسَه ويستعملُها فيما يعلم أنَّه ينفعها بعد موتها، وإنْ كانت كارهةً لذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: رقم (٥٠٦٧)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٣٨٩)، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وأحمد في «المسند»: (١/ ٩، ١٠، ١٤)، (٢/ ٢٩٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) «س»: ما تأمره.

(٣) أحمد في «المسند»: (٤/ ١٢٤)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٢٤٦١)، وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه أحمد في «الزهد»: (١/ ٦٩)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس»: رقم (١) من حديث شداد بن أوس. وانظر بقية التخريج في «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»: (٢/ ٧٦٩).

والعاجز: هو الأحمقُ الجاهل، الذي لا يفكر في العواقب بل يتابع نفسه على ما تهواه، وهي لا تهوى إلاَّ ما تظن أنَّ فيه لذتها وشهوتها[1] في العاجل وإنْ عاد ذلك بضرٍّ لها فيما بعد الموت، وقد يعود ذلك عليها بالضرر في الدنيا قبل الآخرة.

فهذا هو الغالب[2] واللازم، فيتعجَّل ـ تابعُ هوى نفسه[3] ـ العارَ والفضيحة في الدنيا وسقوطَ المنزلة عند الله وعند خلقه، والهوان والخزي. ويُحرم بذلك خير الدنيا والآخرة، من علمٍ نافع ورزق واسع وغير ذلك.

ومَن خالف نفسَه ولم يُتبعها هواها: تعجَّل بذلك الجزاء[4] في الدنيا ووجد بركة ذلك من حصول العلم والإيمان والرزق وغير ذلك؛ وقيل لبعضهم: بما بلغ الأحنفُ بن قيس فيكم ما بلغ. قال: كان أشد الناس سُلطاناً على نفسه[5].

---

(١) «س»: لذاتها وشهواتها.

(٢) «س»: أو.

(٣) «س»: هو لنفسه.

(٤) «س»: العز.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس»: رقم (١١٧).

فهذه النفس(١) / تحتاج إلى مُحاربة ومجاهدة ومعاداة؛ [٣٩/أ]
فإنَّها أعدى عدو لابن آدم، وقد قال النبيُّ ﷺ «المُجاهد من جاهد نفسه في الله»(٢). ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»(٣).

وقال الصِّديقُ لعمر(٤) رضي الله عنهما في وصيته له عند موته: أوَّل ما أُحذرك نفسك التي بين جنبيك(٥).

وفيه يقول بعضُهم: كيف احترازي من عدوي، إذا كان عدوي بين أضلاعي.

---

(١) «س»: النفوس.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (١٦٢١)، وقال: حسنٌ صحيح. وأحمد في «المسند»: (٦/ ٢٠، ٢١، ٢٢)، وابن المبارك في «الجهاد»: رقم (١٧٤)، والطبراني في «الكبير»: رقم (٧٩٦)، وابن منده في «الإيمان»: رقم (٣١٥)، وابن حبان في «الصحيح»: رقم (٤٦٢٤)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٧٢، ١٤٤)، عن فضالة بن عُبيد، وأصله عند أبي داود في «السنن»: رقم (٢٥٠٠)، وابن ماجه في «السنن»: رقم (٣٩٨٢).

(٣) يأتي تخريجه.

(٤) الأصل: وقال صلى الله عليه ومسلم.

(٥) أخرجه الربعي في «وصايا العلماء»: (٣٤).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لمن سأله عن الجهاد: ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها. ويقال إنَّه الجهاد الأكبر، ورُوي مرفوعاً من وجه ضعيف[١].

فمن ملك نفسه وقهرها ودانها[٢]: عزَّ بذلك؛ لأنه انتصر على أشد أعدائه وقهره وأسره واكتفى شرَّه، قال الله تعالى ﴿ومن يُوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩]، فحصر الفلاح في وقاية شح نفسه، و[٣] وتطلُّعها إلى ما مُنعت منه، وحرصِها على ما يُضيرها[٤] مما تشتهيه: من علو وترفع، ومال وجاه وأهل[٥] ومسكن، ومأكل ومشرب وملبس وغير ذلك.

فإنَّها تتطلع إلى ذلك كلِّه وتشتهيه، وهو عين هلاكها ومنه ينشأ البغيُ والحسد والحقد. فمن وقي شح نفسه، فقد

---

(١) أخرجه الربعي في «المسند» كما في «الكنز»: (٤/ ٦١٦) عن جابر.

(٢) «س»: ودانها. ساقطة.

(٣) «س»: شر النفس وشحها وهو.

(٤) «س»: ما عند غيرها.

(٥) «س»: وأهل. ساقطة.

قهرها وقصرها على ما أُبيح لها وأُذن لها فيه، وذلك عين الفلاح.

كان بعضُ العارفين يُنشد:

إذا ما عدت[١] النفس
عـن الحـق زجرناها
وإن مالت عن الأخرى
إلى الدنيـا منعـناها
تخادعنا ونخدعها
وبالصـبر غلـبناها
لها خـوف من الفقر
وفي الفـقـر أنخـناها

/ وبكل حال، فلا يقوى العبدُ على نفسه إلاَّ بتوفيق الله [٣٩/ب] إياه وتوليه له. فمن عصمه الله وحفظه: تولَّاه ووقاه شح نفسه وشرها، وقوَّاه على مُجاهدتها ومعاداتها.

(١) «س»: عدلت.

ومن وكله إلى نفسه: غلبته وقهرته وأسرته وجرَّته إلى ما هو عين هلاكه، وهو لا يقدر على الامتناع كما يصنع العدوُّ الكافر إذا ظفر بعدوه المسلم بل شر من ذلك؛ فإنَّ المسلم إذا قتله عدوه الكافر كان شهيداً، وأمَّا النفس إذا تمكَّنت من صاحبها قتلته قتلاً يَهلك به في الدنيا والآخرة.

وهذا معنى الحديث الذي رُوي مرفوعاً «ليس عدوك الذي إذا قتلته كان لك نوراً يوم القيامة، وإذا قتلك دخلت الجنة. أعدى عدوك نفسُك التي بين جنبيك»(١).

فلهذا(٢) كان من أهم الأمور: سؤالُ (٣) العبد ربَّه أنْ لا يكله إلى نفسه طرفة عين. شعر(٤)

يا رب هيىء لنا من أمرنا رشدا

واجعل معونتك الحُسنى لنا مددا

---

(١) أخرجه الديلمي في «المسند» عن ابن مالك الأشعري، والعسكري في «الأمثال» عن سعيد بن أبي هلال مُرسلاً، كما في «الكنز»: (٤/ ٤٣١).

(٢) «س»: ولهذا.

(٣) «س»: ما سأل.

(٤) «س»: شعر. ساقطة.

ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا

فالعبدُ يعجز عن إصلاح ما فسدا

قوله ﷺ: «فاغفر لي ذنوبي إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم».

ختم الدعاء بسؤال مغفرة الذنوب والتوبة؛ قال بعض السلف: الدنيا إما عصمةُ الله أو الهلكة، والآخرة إمَّا عفو الله أو النار[1].

[٤٠/أ] فمن حصل له في الدنيا التوبةُ، وفي الآخرة / المغفرة: فقد ظفر بسعادة الدنيا والآخرة. وقد تكرر في الكتاب والسنة ذكرُ الأمر بالتوبة والاستغفار؛ قال الله تعالى: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفورٌ رحيم﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وأنْ استغفروا ربكم ثم تُوبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمَّى ويؤتي كلَّ ذي فضلٍ فضله﴾ [سورة هود، الآية: ٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة»: رقم (٧٦) عن محمد بن يوسف الأصبهاني.

وأخبر عن هود عليه السلام، وصالح وشعيب عليهم السلام: أنَّهم[١] أمروا أممهم بالاستغفار والتوبة، وقال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنُوبهم ومن يغفر الذنوب إلاَّ الله ولم يُصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون • أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥ ـ ١٣٦]، وتركُ الإصرار هو التوبة.

وفي «صحيح مُسلم»، عن الأغر المُزني، سمع النبيَّ ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»[٢].

[٣]وخرَّجه النسائيُّ، ولفظه:

---

(١) الأصل: عليهما السلام أنهما.

(٢) مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٧٠٢)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٢١١، ٢٦٠)، والنسائي في «عمل اليوم»: رقم (٤٤٤ ـ ٤٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد»: رقم (٦١٨).

(٣) «س»: و. ساقطة.

«يا أيها الناس توبوا إلى ربكم واستغفروه، فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم أكثر من سبعين مرة»[١].

وفي «صحيح البخاري»، عن أبي هريرة، سمع رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٢]. / [٤٠/ب]

وخرَّجه النسائي، وابن ماجه، ولفظهما «إنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة»[٣].

وفي «المُسند» عن حُذيفة، قال: كان في لساني ذرب على أهلي، ما أعدوه إلى غيره. فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ قال: «أين أنت من الاستغفار. يا حذيفة: إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة وأتوب إليه»[٤].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) البخاري في «الصحيح»: رقم (٦٣٠٧)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٢٨٢، ٣٤١)، والنسائي في «عمل اليوم»: رقم (٤٣٥ ـ ٤٣٩).

(٣) النسائي في «عمل اليوم»: رقم (٤٣٤)، وابن ماجه في «السنن»: رقم (٣٨٦٠)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٤) أحمد في «المسند»: (٥/ ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧)، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم»: رقم (٤٤٨ ـ ٤٥٣).

وفيه، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة وأتوب إليه»(١).

وفي السنن الأربعة، عن ابن عمر، قال: إنْ كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم»(٢).

وإنَّما قدَّم ذكرَ الشهادة بالتوحيد على طلب المغفرة؛ لأن التوحيد أعظم الأسباب التي يُستجلب بها المغفرة، وعدمُه مانع من المغفرة بالكلية؛ وفي الحديث «ابن آدم إن جئتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً لقيتك بقُرابها مغفرة»(٣).

---

(١) أحمد في «المسند»: (٤/ ٤١٠)، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم»: رقم (٤٤٠)، والطبراني في «الدعاء»: رقم (١٨١٠).

(٢) أبو داود في «السنن»: رقم (١٥١٦)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٤٣٠)، وقال: حسنٌ صحيح. والنسائي في «السنن الكبرى»: رقم (١٠٢٩٢)، وابن ماجه في «السنن»: رقم (٣٨١٤)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٢١، ٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (٣٥٣٤)، وقال: حديثٌ حسن. وانظر بقية التخريج في «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»: (١/ ١٤٩).

وفي حديث سيد الاستغفار[١]: البدايةُ بذكر التوحيد قبل طلب المغفرة. وإذا اعترف العبدُ بذنبه وطلب المغفرة من ربِّه، وأقرَّ له أنَّه[٢] لا يغفر الذنوب غيره: كان / جديراً أنْ يُغفر [٤١/أ] له؛ ولهذا قال في[٣] الحديث «فاغفر لي إنَّه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت» وكذلك في دُعاء سيد الاستغفار، وكذلك في الدعاء الذي علَّمه الصديق أنْ يقوله في صلاته.

و إلى هذا الإشارة بقوله في القرآن[٤] ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومَن يغفر الذنوب إلاَّ الله﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٥].

وفي حديث أبي ذر، المرفوع «يقول الله عز وجل: من علم منكم أني ذُو قدرة على المغفرة ثم استغفرني غفرتُ له ولا أبالي»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٦٣٠٦)، والنسائي في «عمل اليوم»: رقم (١٩، ٤٦٤، ٤٦٥) عن شداد بن أوس.

(٢) «س»: بأنه.

(٣) «س»: في هذا.

(٤) «س» بزيادة: كقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾.

(٥) قطعة من حديث طويل، أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (٢٤٩٧)، وقال: حديثٌ حسن. وابن ماجه في «السنن»: رقم (٤٣١١)، وأحمد في «المسند»: (٥/ ١٥٤، ١٧٧).

وفي حديث علي، عن النبي ﷺ: «إنَّ ربك ليعجب من عبده إذا قال: ربِّ اغفر لي ذنوبي. يعلم أنَّه لا يغفر الذنوب غيري»[١].

وفي الصحيح: حديثُ الذي أذنب ذنباً فقال: «ربِّ عملت ذنباً فاغفر لي. قال الله عز وجل: علم عبدي أنَّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، قد غفرتُ لعبدي. ثم قال في الرابعة: فليعمل ما شاء»[٢]. يعني مادام على هذا[٣] الحال، كلَّما أذنب استغفر.

وفي السنن، عن أبي بكر الصديق مرفوعاً «ما أصر من استغفر وإنْ عاد في اليوم سبعين مرَّة»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: رقم (٣٤٤٣)، وقال: حديثٌ حسن صحيح. وأبو داود في «السنن»: رقم (٢٦٠٢)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٩٧، ١١٥، ١٢٨).

(٢) البخاري في «الصحيح»: رقم (٧٥٠٧)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٧٥٨)، وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٢٩٦) عن أبي هريرة.

(٣) «س»: في هذه.

(٤) أبو داود في «السنن»: رقم (١٥١٤)، والترمذي في «الجامع»: رقم (٣٥٥٤) وقال: حديثٌ غريب، وليس إسناده بالقوي. وابن أبي الدنيا في «التوبة»: رقم (١٧٢).

التوبةُ والاستغفار يُقبل في جميع[١] آناء الليل والنهار، وفي «صحيح مسلم» مرفوعاً «إنَّ الله يَبسُط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[٢].

ولكن بعض الأوقات أرجى قبولاً، فإذا وقعت التوبةُ / [٤١/ب] والاستغفار في مظان الإجابة كان أقرب إلى حصول المطلوب؛ ولهذا مدح اللهُ تعالى المُستغفرين بالأسحار، قال[٣] ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾[٤][سورة الذاريات، الآية: ١٨].

وفي الصحيح، حديثُ النزول، [٥]وأنَّ الله يقول كل ليلةٍ حين يبقى ثلثُ الليل الآخر: «هل من مستغفرٍ فاغفر له هل من تائبٍ فأتوب عليه»[٦].

(١) «س»: تقبل. (٢) مسلم في «الصحيح»: رقم (٢٧٥٩) عن أبي موسى.

(٣) «س»: فقال.

(٤) «س» بزيادة: وقال ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾.

(٥) «س»: و. ساقطة.

(٦) البخاري في «الصحيح»: رقم (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٧٥٨)، وأحمد في «المسند»: (٢/ ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٨٧، ٥٠٤) من حديث أبي هريرة.

قال الفُضيل بن عياض: ما من ليلةٍ اختلط ظلامُها وأرخى الليل سربال سترها، إلاَّ نادى الجليلُ جل جلاله: مَن أعظم مني جوداً والخلائق لي عاصون وأنا لهم مراقب، أكلؤهم في مضاجعهم كأنَّهم لم يعصوني، وأتولَّى حفظَهم كأنهم لم يُذنبوا فيما بيني وبينهم، أجود بالفضل على العاصي وأتفضَّل على المسيء. من ذا الذي دعاني فلم أُلبِّه، أم مَن ذا الذي سألني فلم أعطه، من ذا الذي أناخ ببابي فنحيتُه. أنا الفضل ومني الفضل، أنا الجواد ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم، ومِن كرمي: أن[١] أغفر للعاصي بعد المعاصي، ومِن كرمي أن[١] أعطي العبد ما سألني وأعطيه[٢] ما لم يسألني، ومن كرمي أن[١] أعطي التائب كأنَّه لم يعصني. فأين عني يهرب الخلائق، وأين عن بابي ينتحي العاصون[٣]. ما للعصاة مهرب من الله إلاَّ إليه، فيهربون منه إليه[٤].

---

(١) «س»: أني. (٢) «س»: أعطيه. ساقطة.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٩٢)، وأخرج الديلمي في «المسند» نحوه مرفوعاً عن أنس، كما في «الكنز»: (٤/ ٢٢٩).

(٤) في «س» ما للعصاة مهرب منه إلا إليه.

(١)هــربــت مــنــه إلــيــه
بكـــيت منه عـليـه
وحقــه هــو ســـؤلي
لازلـــت بيـــن يـــديـــه
حـــتى أنـــال وأحـــظى
بمـــا أرجـــي لـــديـــه
أسأتُ ولم أحسن وجئتك تائباً
وأني لعبد عن مواليه يهرب
يؤمل غفراناً فإن خاب ظنه
فما أحد منه على الأرض أخيب(١)

(٢)وهذا معنى «لا ملجأ منك إلا إليك»(٢). هو أرحم بعبادة من الوالدة بولدها(٣). وأفرح بتوبة عبده ممن فقد راحلته بأرض

---

(١) ما بينهما زيادة من «س»، والأبيات في «جامع العلوم»: (٢/ ٤٦).

(٢) ما بينهما ليست في «س».

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٥٩٩٩)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٧٥٤) عن عمر.

[٤٢/أ] مهلكة حتى أيس من الحياة / ثم وجدها[١].

يا مطروداً احذر أنْ تُفارق عتبة بابهم، يا مرميا بالبُعاد إياك أنْ تبعد عن جنابهم، يا مهجوراً ابك وترام عليهم، يا متوعَّداً بالعقاب لا تهرب منهم إلاَّ إليهم.

في حديث جابر، المرفوع: «إنَّ العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه فلا يزال يدعوه حتى يقول الله عز وجل للملائكة: إنَّ عبدي قد أبى أنْ يدعو غيري فقد استجبتُ له»[٢].

كان رجلٌ من أصحاب ذي النون يطوف في السِّكك يبكي، ويُنادي: أين قلبي أين قلبي، مَن وجد قلبي! فدخل يوماً بعضَ السكك فوجد صبياً يبكي[٣] وأمّه تضربه، ثم أخرجته من الدار فأغلقت[٤] دونه. فجعل الصبيُّ يلتفت يميناً

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: رقم (٦٣٠٨)، ومسلم في «الصحيح»: رقم (٢٧٤٤)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٣٨٣) عن ابن مسعود.

(٢) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر.

(٣) الأصل: يبكي. ساقطة.

(٤) «س»: وأغلقت الباب.

وشمالاً، ولا يدري أين يذهب ولا أين يقصد. فرجع إلى باب الدار، فوضع رأسه على عتبته فنام. فلما استيقظ جعل يبكي، ويقول: يا أمَّاه مَن يفتح لي الباب إذا أغلقت عني بابك، ومن يُدنيني من نفسه إذا طردتيني، ومَن الذي يؤويني[(١)] بعد أنْ غضبتِ عليَّ. فرحمته أُمُّه، فقامت فنظرت[(٢)] من خَلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموعُ على خده[(٣)] متمعِّكاً في التراب. ففتحت البابَ وأخذته حتى وضعته في حِجرها، وجعلت تُقبله وتقول: يا قُرَّة عيني وعزيز نفسي، أنت الذي حملتني على نفسك وأنت الذي تعرَّضت لما حلَّ بك، لو كنت أطعتني لم يكن[(٤)] مني مكروها.

فتواجد الرجلُ / ، ثم قام وصاح، وقال: قد وجدتُ قلبي، قد وجدتُ قلبي[(٥)]. [٤٢/ب]

---

(١) «س»: يدنيني.

(٢) «س»: ونظرت.

(٣) «س»: خديه.

(٤) «س»: تلق.

(٥) نقله المؤلف في «جامع العلوم والحكم»: (٢/ ٤٤).

هكذا ينبغي أن يكون[١] حالُ العبدُ مع ربه.

[٢]إذا هجروا عزاً وصلنا تذلُّلاً
وإنْ بعدوا يأساً قرُبنا تعللا
وإنْ أغلقوا بالهجر أبواب وصلهم
وقالوا ابعدوا عنا طلبنا التوصلا
وقفنا على أبوابهم نطلب الرِّضى
على التُرب عفَّرنا الخدود تذللا
أشرنا بتسليم وإنْ بعُد المدى
إليهم وكلَّفنا الرياح التحملا[٢].

تم هذا الحديث وشرحه. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[٣].

---

(١) «س»: تكون.

(٢) ما بينهما إضافة من «س».

(٣) في «س» آخره. والحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة